أثرالإبدال الصوتي وتغيّر الضبط الحركي في تنوّع المعنى القراءات القرآنية مثالا

م٠ د٠ محمود **حمود عراك القريشي**

جامعة واسط / كلية التربية/ قسم علوم القران

رأى علماء العربية في الإبدال ظاهرة لغوية شائعة،فخصّوها بالبحث والدراسة، وأفردوا لها المؤلفات،لعلّ أكثرهذه المؤلفات شهرة كتاب "الإبدال" لابن السكّيت(ت٢٤٤ هـ)الذي يعرف أيضًا بالقلب والإبدال، وكتاب "الإبدال" لأبي الطيب اللغوي(ت ٣٥١ هـ).

والأصل في الإبدال لغة:جعل شيء مكان شيء آخر(١) أمّا معناه في الاصطلاح ؛ فجعل صوت مكان صوت غيره(٢) في بعض الكلمات مع بقاء الأصوات الأخرى(٣). وهذا الصوت له موضع الترتيب نفسه في الكلمتين مثل(آجم وآجن) اللتين تختلفان في صوت الميم والنون ، وكذلك(أصيلان وأصيلال)(٤) وهما تختلفان في النون واللام. فمن سنن العربية إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض كما ذهب إلى ذلك ابن فارس(ت٣٩٥هـ)(٥) والثعالبي(ت٤٢٩هـ)(٦).

يعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥ هـ) أول من أشار إلى مصطلح الإبدال ومثّل له(٧) كما ذكره سيبويه(ت١٨٠ هـ)عند حديثه عن الأصوات التي يبدل منها غيرها(٨)،ومن العلماء من حصر حدوث هذه الظاهرة باثني عشر صوتا يجمعها قولك(طال يوم أنجدته) (٩) تنقص أو تزيد قليلا(١٠)وأوصلها ابن مالك(ت٦٧٢ هـ)إلى اثنين وعشرين صوتا(١١). في حين رأى آخرون أن الإبدال قد يحدث في الأصوات كلها (١٢).

ولم يذكر العلماء أسبابا محدّدة لتعليل هذه الظاهرة ، فقد نقل السيوطي (ت٩١١ هـ) عن الخليل قوله:((الذُعاق كا لزُّعاق سمعنا ذلك من بعضهم ، وماندري ألغة أم لُثغَة))(١٣) وعطفه لفظ (لُثْغَة) على (لغة) يقتضي التغاير، فإذا علمنا أن معنى(لُثْغَة)هو((أن تعدل الحرف إلى حرف غيره))(١٤) اتضح لنا أن معنى قوله (لُغة)لم يحصل فيه إبدال٠ بل هو اختلاف لهجي وهو ماذهب إليه ابن جني حين ردّ الأمثلة التي حصل فيها إبدال عادّا إيّاها لغة كردّه إبدال التاء من الباء،جاء في سر صناعة الإعراب((فأما قول الأعرابي من بني عوف بن سعد:

صَفقَةُ ذي ذَعالتٍ سَمُولِ   بَيعَ امرىء ليس بمُستَقيلِ(١٥)

وهو يريد الذعالب،فينبغي أن يكونا لغتين))(١٦)إذ كان ابن جني وأستاذه أبو علي الفارسي (ت٣٧٧ هـ) قد اشترطا لحدوث هذه الظاهرة تقارب أو تداني مخارج الصوتين المبدلين٠ وقد صرّح ابن جني بذلك حين ردّ الأمثلة التي تتعارض مع نظرية المخارج هذه قائلا:((فأمّا قول من قال في قول تأبط شرا:

كأنّما حَثحَثُوا حصًا قوادمهُ   أو أُمَّ خِشفٍ بذي شَثّ وطبّاق

إنه أراد: حثّثوا فأبدل من الثاء الوسطى حاءً ،فمردود عندنا٠٠٠٠ وسألت أبا عليّ عن فساده فقال: العلة في فساده أن أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها وذلك الدال والطاء والتاء، والذال والظاء والثاء،والهاء والهمزة،والميم والنون،وغير ذلك مما تدانت مخارجه))(١٧).وهو بهذا يُعدّ أول عالم عربي استعمل نظرية المخارج في تعليل ظاهرة الإبدال في كتابه (سر صناعة الإعراب) (١٨) في حين نُقل عن الخليل أنه لم يشترط تقارب المخارج في الإبدال حين أجاز في قوله جلّ ثناؤه (فَجَاسُوا) [الإسراء:٥]أن يكون إنّما أراد(فَحَاسُوا)فقامت الجيم مقام الحاء،وهوإبدال بين صوتين متباعدي المخارج،فالجيم شجرية مجهورة والحاء حلقية مهموسة(١٩)وهو ماأثار استغراب ابن فارس(ت٣٩٥هـ) الذي قال معقّبا :((وما أحسب الخليل قال هذا وما أحقُّه عنه))(٢٠) ويُستَشف من قول ابن فارس أنه يؤيد الرأي القائل بقرب المخارج في الإبدال، وهو ما لم يشترطه الكسائي(ت١٨٩هـ) وكذلك الأصمعي (ت٢١٦هـ) وابن الأعرابي (ت٢٣١ هـ) وابن السكيت (ت٢٤٤هـ)(٢١).

ورأى الدكتور ابراهيم أنيس من المحدثين أن سبب حدوث الإبدال التطور الصوتي وأن الكلمة الشائعة في الاستعمال هي الأصل،والأخرى هي التي حدث فيها التغيير(٢٢). واحتمل أيضا أن يكون السبب تصحيفا(٢٣)،وأشار أيضا إلى أن الاختلاف الطفيف في المعنى مع صعوبة الربط الصوتي يدل على ان الكلمتين تنتميان إلى أصلين مختلفين(٢٤) وإشارته إلى اختلاف المعنى الحاصل بسبب الإبدال وإن كان طفيفا تعد التفاتة ذكية،فهو من القلائل اللذين أشاروا إلى ذلك ، وهو ماينبغي أن تركز عليه الدراسات الحديثة في دراسة التغير الدلالي الحاصل بسبب التنوع الصوتي في بنية الكلمة سواء كان ذلك على مستوى الحروف الصامتة أو الصوائت(الحركات) الذي سيكون غاية أساسية يتبناها هذا البحث ،الذي اختار القراءات القرآنية ميدانا له ؛لأنها مصدر من مصادر الشواهد اللغوية لما تختزنه من فيض غزير من الاستعمالات وبمختلف الأساليب، لعلاقتها الوثيقة باللهجات العربية ،إذ تعدّ من الوثائق المهمة لدراسة تلك اللهجات، فهي تحتوي على صفات صوتية تنتمي إلى أشهر القبائل العربية وأوسعها انتشارا،وقد ذكر الأقدمون قسما كبيرا من الفروقات اللهجية التي برزت واضحة في القراءات، فهم وإن نسبوا قسما من هذه القراءات إلى لهجاتها كانوا في كثير من الأحيان يكتفون بالقول بأنها لغة، كاختلاف القراء في قراءة (الصراط)مثلا على لغات أربع :السَراط بالسين وبالصاد وبالزاي وبإشمام الصاد الزاي، وقد شغل العلماء الأوائل التفكير بصحة سند هذه القراءات وروايتها ونسبتها أكثر من التفكير في بيان ما يحصل فيها من فروق دلالية بعد الإبدال الصوتي في عدد كبير منها،فقد يؤدي الإبدال الصوتي في القراءة على مستوى الحرف الصامت أو تغير الضبط الحركي على مستوى الصائت القصير (الحركة) إلى تغير المعنى من قراءة لأخرى، مع ملاحظة أنّ هذا الاختلاف في

المعنى ليس اختلاف تناقض أو تغاير في دلالة المفردة وإنّما اختلاف تنوع في الفهم أو المعنى بما يزيد من وضوح المراد وشاهدا على تقارب المعاني وتداخل استعمالاتها إذا تقاربت مادة حروف مبانيها،ولنا فيما جاء في كتاب الله من إبدال دليل على ماذكرنا، فإذا تأمّلته وجدته أمرا مقصودا في كل جزئية من جزئياته قائما على أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز في الكشف عن سر مستور أو كنز مخبوء من كنوز هذا التعبير العظيم، كاستعماله لفظ "مكّة " و "بَكّة " لأمّ القرى⁽٢٥⁾ فجاء بالاسم "بَكّة " في سياق آية الحج من لفظ "البَك " الدال على الزحام؛ لأنّه في الحج يبكّ الناس بعضهم بعضا أي يزحم بعضهم بعضا وسمّيت "بكّة "لأنّهم يزدحمون فيها، حيث يقول جلّ شأنه {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[آل عمران:٩٦و٩٧]في حين قال:{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً }[الفتح:٢٤]فاستعمل لفظ "مكّة "بالميم وهو الاسم المشهور لأم القرى لاختلاف السياق فوضع كل لفظ في السياق الذي يقتضيه والله أعلم⁽٢٦⁾ ولانعدم أن نجد من العلماء من احتفى بهذه الظاهرة، وخصّها بالعناية ؛ ولاسيّما في القراءات القرآنية، لعلاقتها بكتاب الله تعالى،فلم يأل الخليل جهدا في معجمه العين من بيان الفروق الدلالية بين مباني الألفاظ في حالة حدوث ظاهرة الإبدال بين أحد الصوامت أو تغير الضبط الحركي بين الصوائت القصيرة، مستعينا بالقراءات القرآنية بوصفها مادة لغوية حيّة في الاستدلال بها على معنى المفردة اللغوية، ولاسيما إذا كان اللفظ من مفردات القرآن والاستعانة بها للوصول إلى بيان التطور الدلالي الذي أصاب المفردة،أو الكشف عن الفروق الدلالية بين مباني الألفاظ ، وهذا ما دعا أحد الباحثين المحدثين إلى الكتابة عن جدلية المبنى والمعنى في فكر الخليل اللغوي في مجال القراءات القرآنية⁽٢٧⁾. وبيّن جامع كتاب معاني القرآن للكسائي(ت١٨٩هـ) في مقدّمته وقوف الكسائي أمام كثير من ظواهر تغير الضبط الحركي ، تلك الظواهر التي قد تحدث أثرا في تغير دلالة الكلمة،أو التي تثبت معها دلالة الكلمة مع اختلاف ضبط بعض حروفها⁽٢٨⁾.

وينبغي الإشارة إلى أنّ هناك نوعين من الإبدال الصوتي وتغيّر الضبط الحركي يعرض للمفردة،أحدهما:الإبدال الصوتي على مستوى الصامت أو تغيّر الضبط الحركي على مستوى الصائت لايصاحبه تغير في المعنى. والآخر:الإبدال والتغيّر في المستوى نفسه يصاحبه تنوّع في دلالة المفردة. وهذا النوع هو ما تنضوي تحته هذه الدراسة. وتبقى الأسئلة قائمة حول سبب حدوث ظاهرة الإبدال الصوتي بمستوييه،أهو التطور الدلالي الذي يصيب المفردة؟أم هو بسبب من التصحيف، ولاسيما إذا تقاربت مادة حروف المباني للفظة مثل شعف وشغف،وفرغ وفزع،أم يعزى السبب إلى طريقة النسخ كما هو الحال في القراءات القرآنية إذ كانت صورة ألفاظ القرآن الكريم خالية من الإعجام أو ضبط

الشكل فثبت أهل كل مصر من الأمصار وأهل كل ناحية من بلاد المسلمين على ماكانوا قد تلقوه سماعا عن الصحابة شرط موافقته الخط وتركوا ماخالف الخط امتثالا لأمر الخليفة (٢٩). أم هو الاختلاف بين لغات القبائل وتعدد الخصائص النطقية بينها؟ فالاختلاف في رسم الكلمة وضبط مبناها كان سببا في اختلاف نطقها ومن ثمّ اختلاف معانيها ولاسيّما أنّ العربية تعتمد تغيير الشكل في التشكيل الصوتي أساسا في اختلاف المعاني وإن كان جذر الكلمة واحدا، وهذا المنهج وهذه الخصوصية قد تبعه تعدّد أوجه التفسير والتأويل على المعنى الواحد إذا مااختلفت الصورة(٣٠).

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يقسّم على مبحثين، تناول الأول الإبدال الصوتي بين الحروف الصامتة، وتناول الآخر تغيّر الضبط الحركي بين الصوائت القصيرة "الحركات". وخضع تسلسل الحروف والحركات التي حصل فيها إبدال وتغيّر في الضبط في كل مبحث إلى تسلسل الآيات القرآنية وترتيبها كما وردت في المصحف الشريف ،يستثنى من ذلك تغيّر الضبط الثنائي بين حركتين مقابل حركتين في المبحث الثاني حيث آثرنا تأخيره للمحافظة على منهجية الانتقال من تغيّر الضبط الحاصل بالحركة إلى تغيّر الضبط الحاصل بالحركتين. ولم يخصّ البحث طائفة معينة من القراءات بالدراسة بل تنوّعت القراءات المختارة بصرف النظر عن كونها سبعية أو عشرية أو غير ذلك ، اعتمادا على ماروته كتب اللغة والتفسير ونسبته إلى كبار الأئمة والعلماء لتكون الدراسة أكثر شمولا.

المبحث الأول:الإبدال بين الصوامت:

١ــ إبدال العين بالغين:

مخرجُ العين من وسط الحلق،أمّا الغين فإنّ مخرجها من أدناه،فهما متجاوران في المخرج غير أنّهما مع هذا التجاور، لم يقع فيهما من الإبدال في كلام العرب مايستحق الوقوف عنده(٣١) فقد ذكر ابن جنّي(ت٣٩٢هـ) أنّ العرب تقول:لَعَنّي ولَغَنّي في "لَعَلّ" وحكَم أن يكون الغين فيه بدلا من العين؛لسعة العين في الكلام،وكثرتها في هذا المعنى،وقلّة الغين(٣٢) وذهب الدكتور حسام النعيمي من المحدثين إلى أنّ عدم تعليل الإبدال هنا راجعٌ لوضوحه وذلك لتجاور المخرج،ويُستَشَفّ من كلامه في هذا المجال أن يكون الإبدال قد وقع لعيب نطقي أو لخطأ في السمع،مستدلاّ على ذلك بقول الأطفال بعداد في بغداد(٣٣).

وقد ورد إبدال العين بالغين في لفظة"غِشاوةٌ" من قوله تعالى: {ختَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ }[البقرة:٧] إذ قُرئت "عِشاوَةٌ" بالعين غير المعجمة بناءً ومعنًى من العَشا وهو سوءُ البَصَرَ(٣٤).

والغِشاوَةُ في كلام العرب:الغطاء،يُقال:غَشّاه:أي غطّاه(٣٥) ومنه قول الشاعر(٣٦):

تَبعتُك إذ عيني عليها غِشاوةٌ فلمّا انجلَت قَطّعتُ نفسي ألومُها

وغُشي على فُلان:إذا نابَه ماغَشِي فهمه(٣٧) ويُقال: تَغشّاه الهم إذا تَجلّله ورَكِبَه، ومنه قول النابغة الذبياني:

هلاّ سألت بَني ذُبيان ماحسبي إذا الدُّخان تَغَشّى الأشمَطَ البَرَما

يعني بذلك تَجلّله وخالَطَهُ(٣٨) والغِشاوة " فِعالة " من التَغشية أي التغطية،بُنيت لما يشتَمِلُ على الشيء كالعِصابة والعِمامة(٣٩)،وتنكيرُها في الآية الكريمة قد يكون للتفخيم والتهويل أي: غِشاوة أيّ غشاوة، أو يكون للإشارة إلى نوع من الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله(٤٠) وقد يُحمل على الأمرين معًا النوعية والتعظيم كما حمل على التكثير والتعظيم معا تنكير "رُسُلٌ" في قوله تعالى:{فقَد كُذّبت رُسُلٌ من قبلك}[فاطر:٤](٤١). وذكر الطبري(ت٣١٠هـ)أنّ الختم على القلب والسمع، والغشاوة على البصر(٤٢) وأجاز الزجاج(ت٣١١هـ) النصبَ في "غِشاوة" على معنى" وجَعَلَ على أبصارهم غِشاوَةً"(٤٣) كما قال الله تعالى في موضع آخر:{وَخَتَمَ على سَمعِهِ وقَلبِهِ وجَعَلَ على بَصَرِهِ غِشاوَةً}[الجاثية:٢٣] فإضمارُ الفعل إذا كان عليه دليل كثيرٌ مستعمل في كلام العرب ومنه قول عبد الله بن الزبعرى:(٤٤)

ورأيت زوجك في الوغى متقلّدا سيفا ورمحا

يريد: وحاملاً رمحا(٤٥)

ونقل القرطبي(ت٦٧١هـ) عن بعض المفسرين قوله:إنّ الغشاوة على الأسماع والأبصار والوقف على "قلوبهم" في حين نقل عن آخرين أنّ الختم في الجميع،والغشاوة هي الختم(٤٦) أي أن تكون مصدرا من معنى "خَتَمَ" لأنّ معناه غَشيَ وَستَرَ،كأنّه قيل:تغشية على سبيل التأكيد، فيكون حينئذ قلوبهم وسمعهم وأبصارهم مختوما عليها مغشّاة(٤٧).

أمّا قراءة "عِشاوة"؛ فمن "العَشا" بالفتح والقصر، قال الراغب(ت٤٢٥هـ)" العشا ظلمةٌ تعترض في العين،...عَشي عن كذا نحو: عَميَ عنه.قال تعالى:{وَمَن يَعشُ عن ذِكرِ الرحمن}[الزخرف:٣٦]"(٤٨)فهو سوء البصر بالليل والنهار، يكون في الناس والدواب والإبل والطير، وقيل هو أن لايُبصرَ بالليل ويُبصرُ بالنهار، وقيل العَشا يكون سوءَ البصر من غير عمى، وعشا عن الشيء يَعشو:ضَعُفَ بَصرُهُ عنه(٤٩)، ومن أمثالهم السائرة:هو يَخبِطُ خَبطَ عَشواء، يُضرب مثلا للسادر الذي يركب رأسه ولايهتم لعاقبته كالناقة العشواء التي لاتُبصرُ ليلا، فتخبط بيديها على عمى،قال زهيرٌ :

رأيتُ المنايا خَبطَ عَشواءَ،من تُصب تُمتهُ ومَن تُخطىءُ يُعَمّر فَيَهرَمِ(٥٠)

شبّه المنايا بهذه الناقة. فإذا كان السبب في عدم رؤية هؤلاء لآيات الله على القراءة المشهورة "غِشاوة " سببا خارجيا هو غطاء التعامي عن آيات الله ، فإنّ السبب في قراءة " عِشاوةٌ " سبب داخليّ نابع من العين ذاتها، وبذلك يكون التعبير مجازيا أي أنّهم يُبصرون إبصارغفلة لاإبصارعبرة أوأنّهم لايرون

آيات الله تعالى في ظلمات كفرهم ولو زالت أبصروها(٥١) وعلى الرغم من أنّ قراءة الإبدال قد أثرت المعنى وزادته عمقا إلاّ أنّ أبا حيّان ، بعد أن أورد جملة من القراءات من ضمنها قراءة الإبدال المذكورة، نسب إلى بعض المفسرين القول: إنّ أصوب هذه القراءات ماعليه السبعة من كسر الغين على وزن عِمامة،والأشياء التي هي أبدا مشتملة(٥٢) لأنّ الآية تشهد على أنّ من الضلال والعمى مايلحق الإنسان عقيب أعماله السيئة غير الضلال والعمى الذي له في نفسه ومن نفسه حيث يقول تعالى:{ومايُضلّ به إلاّ الفاسقين}[البقرة:٢٦]ووصف حال الأشقياء من عباده بأنّه يُضلّهم ويُخرجهم من النور إلى الظلمات ويختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غِشاوةٌ(٥٣) حيث نسب الله سبحانه الختم إلى نفسه والغشاوة إليهم أنفسهم بأنّ فيهم حجابا دون الحق في أنفسهم وحجابا من الله تعالى عقيب كفرهم وفسوقهم .فأعمالهم متوسطة بين حجابين من ذاتهم ومن الله تعالى(٥٤) ثمّ أنّ "على " في قوله تعالى:"وعلى أبصارهم غشاوةٌ" قد أفادت الاستعلاء المعنوي، وهو معنى أصيل ثابت لها(٥٥) ولايتّسق هذا مع قراءة الإبدال "عِشاوةٌ" بالعين؛ لأنّ "العَشا "كما ذكرنا سبب داخلي من العين ذاتها ممّا يستوجب أن تكون "على" موافقة للباء وهو معنى طارىء عليها أي: وبأبصارهم عِشاوةٌ، كما تقول العرب اركب على اسم الله. أي:باسم الله(٥٦).

٢ـ إبدال الراء بالزاي:

الزاي والراء من الأصوات المتقاربة المخارج،فهما ضمن مجموعة أصوات تشترك في كون مخارجها تكاد تنحصر بين أول اللسان،بما فيه طرفه،والثنايا العليا،بما فيها أصولها(٥٧) وهما على هذا التقارب لم يحصل بينهما من الإبدال مايستدعي ذكره من قبل علماء اللغة باستثناء ماورد من قوله تعالى:{ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحمًا}[البقرة٢٥٩]حيث قُرئت" "نُنشِرُها" بضم النون الأولى وبالراء المهملة(٥٨) و" نَنْشُرُها " بفتح النون وضم الشين والراء المهملة(٥٩).

وأصل "النشوز" على القراءة المشهورة الارتفاع، يقال: نَشَزَ يَنشُزُ نُشُوزا: أشرف على نَشَزٍ من الأرض، وهو مارتفع وظهر(٦٠)وكذلك قيل له"نَشْزٌ"و"نَشاز"(٦١) قال الشاعر:

ترى الثعلبَ الحَوْليّ فيها كأنّه   إذا ماعلا نشْزاً حصانُ مجلّلُ(٦٢)

ومنه قيل :" قد نَشَزَ الغلام" إذا ارتفع طوله وشبَّ(٦٣) ونَشَزَ الرَجُلُ يَنشِز إذا كان قاعدا فقام،وعرقٌ ناشِزٌ مُرتَفِعٌ مُنتَبِرٌ ناشِزٌ لايزل يَضرِبُ من داءٍ أوغيره؛ أنشد ابن الأعرابي:

فما ليلى بناشِزَة القُصَيرى   ولا وَقصاءَ لِبستُها اعتجارُ

ناشِزَة القُصَيرى أي ليست بضخمة الجنبين مُشرِفَة القُصَيرى بما عليها من اللحم(٦٤) ونَشَزَت المرأةُ بزوجها وعلى زوجها تَنْشِزُ وتَنْشُزُ نُشُوزا،وهي ناشِزٌ:ارتَفَعَت عليه وأنشَزَ الشيءَ:رفعه عن مكانه.وإنشازُ عظام الميّت:رَفعها إلى مواضعها وتركيب بعضها على بعض(٦٥).قال الفرّاء(ت٢٠٧هـ)

في تفسير قوله تعالى "نُنشزُها":والإنشازُ نقلها إلى موضعها(٦٦) وقال الطبري(ت٣١٠هـ)معناه:كيف نرفعها من أماكنها من الأرض،فنردّها إلى أماكنها من الجسد(٦٧) أي:نجعلها بعد بِلاها وهجودها ناشزة ينشُزُ بعضها إلى بعض،أي يرتفع(٦٨) وقال أبو علي الفارسي نرفعُ بعضها إلى بعض للإحياء(٦٩). ونقل أبو حيّان(ت٧٤٥هـ)أنّ معناه:نُنبتها، حيث جاء متّسقا مع استعمال العرب، من ذلك قولهم:نَشَزَ نابُ البعير والنشز من الأرض على التشبيه بذلك،ونشزت المرأة كأنّها فارقت الحال التي ينبغي أن تكون عليها،وقوله تعالى:{وإذا قيل انشزوا فانشزوا}[المجادلة:١١]أي ارتفعوا شيئا فشيئا كنشوز الناب فبذلك تكون التوسعة فكأنّ النشوز ضرب من الارتفاع(٧٠) وذهب صاحب تفسير"الميزان" إلى أنّ المراد من الإنشاز هو الإنماء،وظاهر الآية أنّ المراد بالعظام عظام الحمار إذ لو كانت عظام أهل القرية لم تكن الآية منحصرة فيه كما هو ظاهر قوله:{وَلِنَجعَلَكَ آيةً}بل شاركه فيه الموتى الذين أحياهم الله تعالى.واستغرب من ذهاب بعض المفسرين إلى أنّ المراد بالعظام العظام التي في الأبدان الحيّة فإنّها في نمائها واكتسائها باللحم من آيات البعث.فإنّ الذي أعطاها الرشد والنماء بالحياة لمحيي الموتى إنّه على كل شيء قدير،وقد احتجّ الله على البعث بمثلها وهي الأرض الميتة التي يحييها الله بالإنبات.ورأى أنّ ذلك تكلّف من غير موجب(٧١).أمّا قراءة الإبدال "نُنشِرُها"و"نَنشُرُها" فأصل النشور:الحياة بعد الموت، يُقال:نَشَرَ الله الميّت يَنْشُره نَشْرا ونُشورا وأنشرَهُ فنَشَرَ الميّتُ لاغير:أحياه(٧٢) قال الأعشى(٧٣):

حتّى يقولُ الناسُ ممّا رأوا   ياعجبا للميِّت الناشرِ

ومنه يوم النُّشُور.وأنشرَهُمُ اللهُ، أي أحياهم،ونَشِرَ الميّتُ نُشورا، وأنشَرَ اللهُ الميّتَ فَنُشِر،(٧٤) قال تعالى:{وَإِلَيهِ النُّشورُ}[المُلك:١٥]. وبناءً على ماتقدّم يكون معنى قراءة"نُنشِرُها".إنشارُها أي إحياؤها.(٧٥) من قول القائل:أنشَرَ اللهُ الموتى فهو يُنْشِرُهم إنشارا بمعنى وانظر إلى العظام كيف نُحييها،ثمّ نكسوها لحماً(٧٦)واحتجّ من قرأ ذلك بقوله تعالى:{ثُمّ إذا شاءَ أنشَرَه}[عبس:٢٢](٧٧)وقد وُصفت العظامُ بالإحياء.قال تعالى:{قالَ من يُحيي العظامَ وهي رَميم قُل يُحييها الذي أنشأها أولَ مرّةٍ}[يس:٧٨و٧٩] فكما وُصفت بالنَشر وُصفت بالإحياء(٧٨).وتوصّل أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ) بعد أن استدلّ بجملة من الآيات الكريمات وما جاء في كلام العرب إلى أنّ النَشرَ والحياةَ والبَعثَ والإرسالَ تقارَبُ في هذا المعنى(٧٩) وذهب الفرّاء إلى أنّ من قرأ "نَنشُرُها" بفتح النون الأولى وضمّ الشين والراء المهملة أراد بذلك النَشر والطيَّ. ثمّ قال:والوجه أن تقول: أَنشَرَ اللهُ الموتى فنَشَروا إذا حَيُوا(٨٠) أنشد الأصمعي لأبي ذؤيب:(٨١)

لَوْ كانَ مِدْحَةُ حَيٍّ أنشَرَتْ أحَدا   أحيا أُبُوَّتَكَ الشمُّ الأماديحُ

ونقل الفرّاء أنّه سمع بعض بني الحارث يقول: كانَ به جَرَب فَنَشَر،أي عاد وحيى(٨٢). وقال الأخفش الأوسط(ت٢٥٥هـ) هي من "نَشَرتُ" ضد"طَوَيْتُ"(٨٣) فكأنّ الموتَ طَيٌّ للعظام والأعضاء ،وكأنّ

الإحياء وجمع الأعضاء بعضها إلى بعض نَشر"(٨٤)وقيل:نَشَرَ الله الميّتَ وأنشَرَهُ بمعنى(٨٥)؛ لأنّه قد تُجمع"فَعَلتُ"و"أفْعَلتُ"كثيرا في معنى واحد تقول:صَدَدْتُ وأَصْدَدْتُ(٨٦) قال أبو علي الفارسي بعد أن أورد هذه القراءة:فإنّه يكون من: نَشَرَ الميِّتُ،ونشرتُه أنا،مثل:حَسَرَتِ(٨٧) الدابّةُ،وحَسَرتُها أنا،وغاض الماءُ،وغِضتُهُ قال:

كَم قَد حَسَرْنا من عَلاةٍ عَنْسِ(٨٨)

أو يكون جَعَلَ الموتَ فيها طيّا لها،والإحياء نشراً. فهو على هذا مثل:نَشَرتُ الثوبَ(٨٩) وأيّد الراغب الأصفهاني(ت٤٢٥هـ) ذلك بقوله: "والحقيقة أنّ نَشَرَ الله الميّتَ مستعارٌ من نَشْرِ الثّوب.كما قال الشاعر:

طَوَتكَ خطوبُ دَهرِكَ بَعدَ نَشرٍ　　كَذاكَ خطوبُهُ طيّا ونَشرا"(٩٠)

واحتجّ ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) لكلتا القراءتين، فمن قرأ بالزاي أراد أنّ العظام إذا كانت بحالها لم تبلَ،فالزاي أولى بها،لأنّها تُرفع،ثمّ تكسى اللّحمَ.والدليل على ذلك قوله تعالى:{وإليه النّشور}[الملك:١٥]،أي الرجوع بعد البلى.أمّا من قرأ بالراء فإنّ الإعادة في البلى وغيره سواء عليه،{فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ }[البقرة:١١٧]ودليله قوله تعالى:{ثُمّ إذا شاءَ أَنشَرَهُ}[عبس:٢٢](٩١).ورجّح القرطبي(ت٦٧١هـ) القراءة بالزاي محتجّا لذلك بقوله:إذا كان معنى القراءتين هو الإحياء،فإنّ العظام لاتحيا على الانفراد حتّى ينضمّ بعضها إلى بعض،والزاي أولى بذلك المعنى إذ هو الانضمام دون الإحياء.فالموصوف بالإحياء هو الرجل دون العظام على انفرادها، ولايقال:هذا عظم حيّ،وإنّما المعنى فانظر إلى العظام كيف نرفعها من أماكنها من الأرض إلى جسمِ صاحبها للإحياء(٩٢). وذهب صاحب تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم إلى أنّ تفسير كلتا القراءتين"نُنْشِزُها"و"نُنْشِرُها" بالإحياء ليس المراد منه معناه الحقيقي إنّما المراد هو كيفية رفع العظام بعضها إلى بعض وردّها إلى أماكنها من الجسد وتركيبها تركيبا لائقا بها، وذلك بدلالة قوله تعالى:"ثمَّ نَكسُوها لَحماً"أي نسترُها به كما يُستَرُ الجسَدُ باللباس، أمّا قراءة"نَنْشُرُها"بفتح النون وضم الشين فقد وافق الفرّاء في كونها ضدّ الطيّ ومعناها:كيف نبسُطها.وخلُص إلى أنّ الجملة إمّا حال من العظام أي وانظر إليها مركبة مكسُوّةً لحما،أو بدل اشتمال أي وانظر إلى العظام كيفية إنشازها وبَسطِ اللحم عليها(٩٣).

والحقيقة أنّ الاختلاف في المعنى بين هذه القراءات ليس اختلاف تناقض،وإنّمااختلاف تنوّع في الفهم أوالمعنى، بما يعمّق ويُثري المراد وضوحا، وانطلاقا من هذا المفهوم ساوى الطبري بين قراءتي "نُنْشِزُها"بضم النون الأولى وكسر الشين والزاي المعجمة،و"نُنْشِرُها"بضم النون الأولى وكسر الشين والراءالمهملة،ورأى أنّه لاحجّة توجب لإحداهما القضاء بالصواب على الأخرى؛لانقياد معنيهما فهما وإن اختلفا في اللفظ فمتقاربا المعنى،لأنّ معنى "الإنشاز"التركيب والإثبات وردّ العظام إلى

العظام،ومعنى "الإنشار"إعادة الحياة إلى العظام وإعادتها لاشكّ أنّه ردّها إلى أماكنها ومواضعها من الجسد بعد مفارقتها إيّاها(٩٤). وذهب إلى أنّ من ظَنّ أنّ "الإنشارَ" إذ كان إحياءً فهو بالصواب أولى؛لأنّ المأمور بالنظر إلى العظام وهي تُنشَر،إنّما أُمِرَ به لِيَرى عِيانا ماأنكره بقوله:"أنّى يُحيي هذه الله بعد موتها" فقد أخطأ؛ فإنّ إحياء العظام لاشك في هذا الموضع، إنّما عَني به ردّها إلى أماكنها من جسد المنظور إليه وهو يُحيى،لإعادة الروح التي كانت فارقتها عند الممات.والذي يدلّ على ذلك قوله:"ثمّ نَكسوها لَحْمًا" ولاشك أنّ الروح إنّما نُفخت في العظام التي أنشزت بعد أن كسيت اللحم(٩٥) وبعد أن نقل أبو حيّان حجج القائلين بترجيح القراءة بالزاي نظر إلى المسألة من جانب آخر حين ساوى بين القراءتين، وهو جانب التواتر،حيث ذهب إلى أنّ القراءة بالراء متواترة،فلاتكون قراءة الزاي أولى(٩٦).

٣ـ إبدال السين بالشين:ـ

الشين والسين صوتان مهموسان(٩٧) غير أنهما من مخرجين متباعدين فالشين من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى(٩٨) والسين من بين طرف اللسان فوق الثنايا(٩٩) وهو من الأصوات التي وصفت بالصفير(١٠٠) وقد علّل ابن جنّي(ت٣٩٢هـ) الإبدال الحاصل بين هذين الحرفين في عدد من الكلمات إلى أنّ السين أعمّ تصرّفا من الشين(١٠١) وقد يكون لهذا الإبدال جذور قديمة في اللغة السامية إذ إنّ الشين قد صار في العربية الفصحى إلى سين،ويجوز أن تكون كلمة شمش بالشين هي الصيغة السامية القديمة التي آلت في العربية إلى شمس بإبدال الشين الأخير سينا(١٠٢) ولم يستبعد الدكتور حسام النعيمي من المحدثين أن يكون هذا الإبدال قد وقع لعيب في النطق أو أنّه من ميل البداوة إلى صوت الصفير كما نسمعهم اليوم في جزيرة الفرات يقولون في الشَجَرَة:السَجَرَة...(١٠٣) ويبدو لي أنّ اشتراك الحرفين في صفة الهمس يعدّ من دواعي هذا الإبدال الحاصل بينهما. وقد ورد الإبدال بين هذين الحرفين في قوله تعالى:{ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ}[الأعراف١٥٦]حيث قُرئت{أُصيبُ بِهِ مَنْ أَساءَ}(١٠٤) إذ أبدلت السين بالشين مع إسناد الضمير إلى الغائب. و" أشاءُ " بالشين المعجمة على القراءة المشهورة من شئتُ الشيءَ أشاؤهُ شيئا ومَشيئَةً ومَشاءَةً ومَشايَةً:أرَدْتُهُ.والمشيئَةُ مصدر شاءَ يَشاءُ مَشيئَةً.وقالوا: كلُّ شيءٍ بِشيئَةِ الله، بكسر الشين مثل شيعة أي بِمَشيئَتِهِ(١٠٥). روي أنّه لما نَزَلَ قولهُ:{لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ}[التكوير:٢٨] قال الكفار:الأمرُ إلينا إن شئنا استقَمنا،وإن شئْنا لَم نَستَقِم،فأنزل الله تعالى {ومَا تَشَاؤونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ}[الإنسان:٣٠](١٠٦) وقال بعضهم: لولا أنّ الأمور كلّها مَوقوفَةٌ على مَشيئَةِ الله تعالى،وأنّ أفعالنا معلّقةٌ بها ومَوقوفَةٌ عليها لَما أجمع الناسُ على تَعليق الاستثناء به في جميع أفعالنا نحو:{سَتَجِدُني إنْ شاءَ اللهُ من الصابرين}[الصافات:١٠٢]،{يَأتيكم بِهِ اللهُ إن شاءَ}[هود:٣٣] وغير ذلك كثير(١٠٧).

وبناءً على ماتَقَدّم يكون معنى "مَن أشاء" على القراءة المشهورة:أي من وجب في الحكمة تعذيبه لعصيانه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة(١٠٨) وإنّما علّق العذاب بالمشيئة لجواز الغفران بالعقل(١٠٩). روي عن ابن عباس أنّ معناه: أصيب به من أشاء على الذنب اليسير(١١٠)وقال الرازي(ت٦٠٤هـ): "معناه أنّي أعذّب من أشاء وليس لأحد علي اعتراض لأنّ الكل ملكي،ومن تصرّف في خالص ملكه فليس لأحد أن يعترض عليه "(١١١). أمّا قراءة الإبدال "مَنْ أساءَ" بالسين المهملة فهي من أساءَ الرجلُ إساءةً:خلاف أحسَنَ. وأساءَ إليه نقيض أحسَنَ إليه . وأَساءَ الشيءَ: أفسَدَهُ ولَم يُحسِنْ عملَه. وأساءَ فُلانٌ الخياطَةَ والعمَلَ(١١٢). وفي المثل أساءَ كارهٌ ماعمِلَ. وذلك أنّ رجلا أكرَهَهُ آخر على عَمَلٍ فأساءَ عَمَلَهُ. يُضرَبُ هذا للرجل يطلب الحاجة فلايُبالغ فيها(١١٣).ويقال:فلانٌ سيّىء الاختيار،وقد يُخَفّف مثل هَيّن وهَيْنٍ وليّنٍ ولَيْنٍ قال الطُّهَوِيُّ:

ولايَجزُونَ من حَسَنٍ بِسَيْءٍ ولايَجزون من غِلَظٍ بِلِيْنِ(١١٤)

ويُقالُ: أَسَأْتُ به وإليه وعليه وله،وكذلك أحسَنتُ قال كثيّر :

أسيئي بنا أوأحسني لاملولةٌ لَدَينا ولامَقلِيّةٌ إن تَقَلّت(١١٥)

والسَيّئَةُ:الخطيئةُ أصلها سَيوئةٌ فقلبت الواو ياءً وأدغمت. وقولٌ سيّىءٌ:يَسوء. والسَيّىءُ والسيِّئةُ:عملان قبيحان،يصيرُ السيّىءُ نعتا للذكر من الأعمال والسيّئةُ الأنثى(١١٦).ويقال: ساءَ مافَعَلَ فُلانٌ صنيعا يَسوءُ أي قَبُحَ صَنيعُهُ صَنيعا.والسُّوءُ:الفجورُ والمُنكَرُ(١١٧).قال تعالى:{مَنْ يَعْمَلْ سوءا يُجْزَ بِهِ}[النساء:١٢٣]. وبناءً على ماقدّمناه يتضح لنا أنّ الإبدال بين صوتي الشين والسين في هذه القراءة قد نتج عنه اختلاف في المعنى وتغايُرٌ لايمكن تجاهله،وبناءً على هذا الاختلاف فقد رأى ابن جني(ت٣٩٢هـ) في قراءة الإبدال "مَنْ أساءَ " أنّها أشدّ إفصاحا بالعدل من القراءة الفاشية التي هي "مَنْ أشاءُ " لأنّ العذاب في قراءة الإبدال مذكورٌ علّة الاستحقاق له وهو الإساءة،في حين أنّ القراءة الشائعة لايُتناول من ظاهرها علّة إصابة العذاب له وأنّ ذلك يرجع إلى الإنسان مع علمنا أنّ الله سبحانه لايُعذّب أحدا منهم إلاّ بما جَناهُ(١١٨) وقد بنى ابن جني ترجيحه على أنّ ظاهر قوله تعالى "من أشاء "بالشين معجمة ربّما أوهم من يَضعُف نَظَرُهُ من المخالفين أنّه يُعذّب من يشاء من عباده أساءَ أو لم يُسيء(١١٩). ويرد عليه أنّ المشيئة راجعة إلى التعجيل والإمهال لاإلى الترك والإهمال(١٢٠) ونقل الرازي اختيار الشافعي لهذه القراءة من دون أن يبيّن السبب(١٢١) وللمعتزلة تعلّقٌ بهذه القراءة من جهة إنفاذ الوعيد،ومن جهة خلق المرء أفعاله،وإنّ أساءَ لافعل فيه لله تعالى.والانفصال عن هذا كالانفصال عن سائر الظواهر(١٢٢) وشَكّك بعض العلماء في صحّة هذه القراءة(١٢٣) وعدّها الطبرسي من الشواذ وأنّ الوجه في القراءة المشهورة هو الظاهر(١٢٤) فالله سبحانه لايُعجّل بالعذاب ولايعاقب كل من يُسيء فلو فعل ذلك ماترك عليها من دابّة بل علّق عذابه بالمشيئة المتوافقة والمنسجمة مع الحكمة الإلهية،بدلالة قوله تعالى بعد الآية محل

الشاهد{وَرَحمتي وَسِعَتْ كلَّ شَيء}أي شأنها أنّها واسعة تبلغ كلّ شيء، ما من مسلم ولا كافر ولامطيع ولاعاص إلاّ وهو متقلّب في الدنيا بنعمتي،وفي نسبة الإصابة إلى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السِعَة إلى الرحمة بصيغة الماضي إيذان بأنّ الرحمة مقتضى الذات وأمّا العذاب فمقتضى معاصي العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة أيضا وعدم التصريح بها قيل:تعظيما لأمر الرحمة،وقيل:للإشعار بغاية الظهور(١٢٥).

٤ــ إبدال الصاد ضادًا أو طاءً:ــ

الصاد والضاد والطاء تشترك في كونها من الحروف المستعلية، وإنّما قيل لها مستعلية،لأنّها استعلت إلى الحنك الأعلى،وهي الحروف التي تمنع الإمالة(١٢٦).غير أنّها من مخارج متعددة،فمخرج الصاد"مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى"(١٢٧) ومخرج الضاد "من أول حافة اللسان ومايليها من الأضراس"(١٢٨)أمّا مخرج الطاء فـ" مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا"(١٢٩) ولم يشع في الكلام من الإبدال بين هذه الأحرف ما يستحق الوقوف عنده، وماورد ممّا ظاهره ذلك من قبيل قولهم:نَضْنَضَ لسانَهُ وَنَصْنَصَهُ بمعنى حرّكه فقد حَكَمَ ابن جني بأنّهما أصلان لأنّ الصادَ ليست أختا للضاد فتبدل منها(١٣٠)وكذلك حكم على تَضَوَّكَ وتَصَوَّكَ حتى تقوم الدلالة على إبدال أحدهما بالآخر(١٣١).وما ورد من البدل الحاصل في تاء"افتعل" إذا كانت فاؤه صادًا أو ضادًا أو طاءً أوظاءً،وقلبها طاءً البتة،فلابدّ فيه من ذلك كما لابدّ من إعلال نحو: "قال" و"باع"(١٣٢).

أمّا في القراءات القرآنية فقد ورد إبدال الصاد ضادًا أو طاءً في قوله تعالى :{إنّكُم وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ }[الأنبياء٩٨]حيث قرأ الجمهور "حَصَبُ" بالحاءوالصادالمهملتين المفتوحتين.وقُرِئَت"حَضَبُ جهنّم" بالضاد المفتوحة(١٣٣)و"حَضْبُ"بالضاد المعجمة الساكنة(١٣٤)و"حَطَبُ جهنّم"بالطاء المهملة المفتوحة(١٣٥).

والحَصَبُ على القراءة المشهورة:الحجارةوالحصى،والحَصباءُ:الحَصى،واحدته حَصَبَة،كقَصَبَةٍ وقَصْباءَ،وهو عند سيبويه اسم للجمع(١٣٦) ومكانٌ حَصِبٌ:ذو حَصباء،قال أبو ذؤيب:

فَكَرَعْنَ في حَجَرَاتِ عَذْبٍ باردٍ   حَصِبِ البطاحِ،تَغيبُ فيه الأكرُعُ(١٣٧)

ويُقال للريح التي تَحملُ التُرابَ والحصى حاصِبٌ،قال تعالى }إنَّا أَرسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً} [القمر:٣٤] وكذلك الحَصِبَة،قال لبيد:

جَرَّتَ عليها أن خَوَتَ من أهلها   أذيالَها كلُّ عَصوفٍ حَصِبَة(١٣٨)

ويقال للسحاب يَرمي بالثَلْجِ والبَرَدِ حاصِبٌ لأنّه يَرمي بهما رَميًا،قال الأعشى:

لنا حاصِبٌ مثلُ رِجلِ الدَّبَى   وَجَأْواءُ تُبرقُ عنها الهَيوبا(١٣٩)

أراد بالحاصبِ الرُّماة وقيل العدد الكثير من الرَّجَّالة(١٤٠).ويقال حَصَبْتَهُ أحصِبُهُ حَصبْا إذا رَمَيْتَه بالحَصباء،والحجر المرميّ به حَصَب،كما يقال:نَفَضْتُ الشيءَنَفْضًا،والمَنْفوضُ نَفَض"(١٤١) والحَصَبُ كلُّ ما ألقيته في النّار من حطَبٍ وغيره(١٤٢) روى الأزهري(ت٣٧٠هـ):الحَصَبُ:الحَطَبُ الذي يُلْقَى في تَنُّور أو في وَقود،فأمّا مادام غير مستعمل للسّجور فلايُسَمّى حَصَبًا،قال:والحَصْبُ:رَمْيُكَ بالحَصباء والحَصباء:صغارُها وكبارُها(١٤٣) قال الفرّاء: "وأمّا الحَصَب فهو في لغة نجد:مارَمَيتَ به في النار،كقولك:حَصَبْتُ الرجلَ أي رَمَيْتَهُ "(١٤٤) وبهذا فُسِّرقوله تعالى:{إنّكُم وما تَعبدونَ من دون الله حَصَبُ جَهَنّم}فالمراد يُقذفون في نار جهنّم، فَشَبّهَهُم بالحَصْباءِ التي يُرمى بها الشيء فلمّا رمي بها كرمي الحصباء،جَعَلَهُم حَصَبَ جَهَنَّم تشبيها(١٤٥).قال أبو حيّان: "وقرأ الجمهورُ " حَصَبُ " بالحاء والصاد المهملتين وهو مايُحصَبُ به:أي يُرمى به في نار جهنّم وقبل أن يُرمى به لايُطلق عليه حَصَبُ إلاّ مجازا(١٤٦).

أمّا على قراءة "حَضَب "بالضاد معجمة ومفتوحة،فكل ماهيّجت به النار أو أوقدتها به فهو حَضَب(١٤٧) وَحضَبَ النارَ يَحضِبُها:رَفَعها(١٤٨) روي عن الكسائي(ت١٨٩هـ)أنّه قال:حَضَبْتُ النارَ إذا خَبَتْ فألقَيتَ عليها الحطبَ لِتَقِد(١٤٩) كأحضَبْها والمِحْضَب:المِسعَرُ،وهو عودٌ تحرّك به النار عند الإيقاد قال الأعشى:

فَلاتَكُ في حَربنا مِحْضَبا   لِتَجعلَ قَومكَ شتّى شعوبا(١٥٠)

قال الفراء:هو المِحضَب والمِحضأ والمِحضَج والمِسعَر بمعنى واحد(١٥١).وبذلك تكون هذه القراءة قد أثرت المعنى حين جعلت من العابد والمعبود من دون الله مادّة لاتّقاد النار أو مِسعَرًا تُحرّك به لأجل شَبُوبها إذا ما خَبَت زيادة في العذاب والتنكيل. ووجّه ابن جنّي قراءة " حَضْبُ "ساكنة الضاد بمعنى الطرح على إيقاع المصدر موقع اسم المفعول،كالخَلْق في معنى المخلوق والصيد في معنى المَصيد(١٥٢).

أمّا قراءة "حَطَبُ جَهنّم " فالحَطَبُ معروف وهو ماأعدّ من الشجر شَبُوبا للنار(١٥٣) ذكر الفراء أنّ الحَطَبَ لغة في الحَصَب وهي لغة أهل اليمن(١٥٤) وذهب ابن جنّي إلى أبعد من ذلك حين قال: أمّا"الحَضَبُ" بالضاد مفتوحة،وكذلك بالصاد غير معجمة فكلاهما الحَطَب،ففيه ثلاث لغات:حَطَبٌ،وحَضَبٌ،وحَصَبٌ،وإنما يُقال:حَصَبٌ إذا ألقي في التنّور والموقد.فأمّا ما لم يُستعمل فلايُقال له "حَصَبٌ"(١٥٥).وروي عن ابن عباس أنّ الحَصَبَ هو الحَطَبُ بالزنجية(١٥٦).قال الآلوسي بعد أن أورد القراآت التي ذكرت آنفا في هذه الآية:ومعنى الكل واحد وهو معنى الحَصَب بالصاد(١٥٧) ويمكن القول إذا كان المعنى الكلي والغاية التي تؤول إليها هذه القراءات واحدا، فإنّ الفروق المعنوية الدقيقة والتفاصيل الجزئية لاشكّ في حصولها على وفق مابيناه من تنوّع دلالة المفردة التي حصل فيها الإبدال،وهذا التنوع في الدلالة بعد حصول الإبدال قد أثرى المعنى ولم يُؤدِ إلى الاختلاف أو التناقض.

ويبدو لي أنّ الذي قرأ "حَطَبُ "بالطاء المفتوحة قد استحضر في ذهنه قوله تعالى:{أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً }[الجن١٥]فضلا عمّا ذكره العلماء من كونها لغة في "حَصَب". أمّا القراءة المشهورة "حَصَبُ جهنّم " فيبدو لي أنّ علماء اللغة والتفسير قد ركّزوا على جانب التشبيه حين فسّروا "الحَصَبَ " ما يرمى به وتهيج به النار تشبيها بِحَصَبَه إذا رماه بالحصباء وهي صغار الحجارة، فهو خاص وضعًا عام استعمالًا(١٥٨) بدلالة أنّه قبل أن يرمى به لايطلق عليه حَصَب إلا مجازا. إلاّ أنّهم أهملوا مايدل عليه ظاهر اللفظ من كون الحَصَبُ هو الحجارة والحصى كما بيناّ ذلك عند الحديث عن معاني "الحَصَبُ " قال الزَّبيدي(ت١٢٠٥هـ): " وَحَصَبَ المكان بَسَطَها فيه أي ألقى فيه الحَصباء الصغار وَفَرْشَهُ بالحصباء"(١٥٩) وحَصَّبتُ المسجدَ تَحصيبا،إذا فَرَشتَهُ بها(١٦٠).روي أنّ الخليفة عمر بن الخطاب حَصَبَ المسجدَ حين أمر أن يُلقى فيه الحصى الصغار(١٦١).وعلى وفق ذلك يكون المعنى والله أعلم أنّ العابد والمعبود من دون الله يكونان في الدرك الأسفل من النار، حيث تُحَصَب بهما أرض جهنّم أي تُبسط وتُفرش بعد أن يتحولا إلى حجارة وحصى ليكون ذلك أكثر عذابا لهما وأشدّ تنكيلا وأدعى للاستهجان والإذلال، فضلا عن قابلية الحصى والحجارة على ديمومة الاستعار وبذلك يكون وقود جهنّم من داخلها لتحافظ على سعيرها واتّقادها،قال تعالى في محكم كتابه العزيز:{ قوا أَنفسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}[التحريم:٦]وبذلك تكون قراءة الجمهور " حَصَبُ جهنّم " هي الراجحة نظرا لما تضمّنته من معان دقيقة في حين أثْرَت القراءات الأخرى المعنى وزادته وضوحا.

المبحث الثاني:تغيّر الضبط الحركي بين الصوائت القصيرة(الحركات).

من خصائص اللغة العربية اعتمادها في تغيّر معاني الكلمة المكونة من مجموعة الصوامت على تغيير حركات هذه الصوامت،إذ لايمكن الفصل بين الحرف وحركته؛فالحركة للحرف كالروح للجسد، يحيا بوجودها ويموت بفقدها.وقد تنبّه علماء اللغة من القدماء والمحدثين على أهمية التشكيل الصوتي الحاصل بفعل الصوائت القصيرة أو الحركات في إنتاج أبنية مختلفة، فالفرق بين"علم" و"عالم" كما يقول اللغويون المحدثون ليس إلا في طول الحركة الأولى حركة العين،وهذه الحركة الداخلية في الأصل الاشتقاقي هي التي أتاحت للعربية بوصفها قمة التطور في المجموعة السامية كثرة غزيرة في الصيغ، ومرونة في الانتقال من صيغة لأخرى(١٦٢). وغالبا ما يحصل تغيير المباني عن طريق المغايرة بين الصوائت القصيرة على وفق تبادل منسّق يخضع لثوابت النظام وأسلوبه في تركيب الأصوات ويعرف بنظام تعاقب المصوّتات(أو التحول الداخلي)ويعدّ هذا التبادل في أنصاف أحرف العلة(الضمة والفتحة والكسرة)المنبع السهل الذي تستعين به اللغة لتستحدث من أصولها الثلاثية ثروة هائلة من المفردات(١٦٣).ففي كل كلمة يتوافر عنصر ثابت هو الجذر المعجمي المكون من مجموعة من الصوامت مرتبة في نسق معيّن وعنصر متغير هو مجموعة الحركات التي تحدّد الصيغة ومعناها(١٦٤)

أمّا ماجاء من المفردات ثابت الدلالة على الرغم من حصول هذا التبادل في الحركات القصيرة فلايعدو أن يكون اختلافا لهجيا أو تعدادا في الخصائص النطقية.وسأعرض أمثلة من النصوص القرآنية التي حصل في بعض ألفاظها أنّها قُرئت بصورتين أو أكثر من صور النطق نتيجة التبادل الحاصل بين الحركات القصيرة فتنوّع بموجبها المعنى.

١ـ بين الفتح والضم:ـ

ورد هذا التغيّر من الضبط الحركي في قوله تعالى:{إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ}[آل عمران١٤٠]حيث قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بن العلاء وابن عامر "قَرْحٌ" بفتح القاف وعليها رسم المصحف،وقرأ عاصم وحمزة والكسائي "قُرْحٌ " بضم القاف في جميعهن"(١٦٥). قال الخليل: القَرْحُ عضُّ السلاح ونحوه ممّا يجرح الجسد. إنّه لَقَرِحٌ قَريح،وبه قَرحَةٌ دامية.والقَرْحُ:جَرَبٌ يأخذ الفِصلان لاتكاد تنجو منه،يُقال فصيلٌ مقروح(١٦٦) وقال الراغب: القَرْح:الأثرُ من الجراحة من شيء يُصيبه من خارج(١٦٧) جاء في لسان العرب:والقريحُ:الجريحُ من قوم قَرْحى وقَراحى؛وقد قَرَحهُ إذا جَرَحَهُ يَقْرَحهُ قَرْحا؛قال المتنخل الهذلي:

لايُسلِمونَ قَريحا حلّ وَسْطَهُمُ   يومَ اللّقاءِ ولايُشْوُونَ من قَرَحُوا

أي لايُسلِمون من جُرِحَ منهم لأعدائهم ولا يُشْوون من قَرَحوا أي لايُخطئونَ في رمي أعدائهم(١٦٨)قال الفراء "وكأنّ القَرْح الجراحات بأعيانها"(١٦٩) وبذلك فُسّر قوله تعالى على القراءة التي عليها رسم المصحف، نقل الطبرسي عن ابن عباس:معناه إن يُصبكم جراح فقد أصاب القوم جراح مثله، وقيل إن يُصبكم ألم وجراح يوم أحد فقد أصاب القوم ذلك يوم بدر(١٧٠) وبذلك احتجّ ابن خالويه(٣٧٠هـ) لمن قرأ بالفتح لأنه أراد الجراح بأعيانها(١٧١) وقيل القَرْح بالفتح المصدر من قَرِحَ يَقْرَحُ قَرْحا أراد بذلك مانالهم من القتل والهزيمة يومئذ(١٧٢) أمّا القُرْح (بالضم) في القراءة الأخرى فقد قيل هو لغة في القَرْح مثل الضَّعف والضُّعف،والكَره والكُره،والفَقر والفُقر(١٧٣) فَقَرِحَ يَقْرَحُ قَرْحا وقُرْحا فهما مصدران وأنّ كل واحد منهما بمعنى الآخر(١٧٤)وقيل:إنّ الفتح لغة تهامة والحجاز،والضم لغة نجد(١٧٥). وقيل هو بالضم الاسم وبالفتح المصدر(١٧٦)قال الفراء:وكأنّ القُرْح ألم الجراحات(١٧٧) أو هو أثرها من الداخل كالبثرة ونحوها كما يقول الراغب(١٧٨) فعلى هذا يكون المعنى أنّ ماأصابكم من ألم الجراح يوم أحد فقد أصاب القوم مثله من ألم الجراح في بدر،وإن أريد بالقُرْح المصدر يكون المعنى أنّ مانالكم من ألم القتل والهزيمة والانكسار في أحد قد نال القوم مثله في بدر والله أعلم.وقيل أنّ القَريحَةَ والقُرْح أول مايخرج من البئر حين تُحفَر؛قال ابن هَرمة:

فإنّك كالقَريحةِ عامَ تُمْهى   شَروب الماء ثمّ تعود مأجا

وهو في قُرْحِ سِنِّه أي أوّلها؛قال ابن الأعرابي قلت لأعرابي:كم أتى عليك ؟ فقال :أنا في قُرْح الثلاثين. يُقال فلان في قُرْح الأربعين أي في أولها...والقُرْحُ ثلاث ليال من أول الشهر(١٧٩) وعليه يمكن أن تُخرّج القراءة بالضم، أي إن مسّكم شيء في أول طريق الإيمان أو بدايته فقد مسّ القوم مثله في بداية كفرهم وإلحادهم ومحاولتهم القضاء على الإسلام يوم بدر؛فيكون بمثابة التسلية للمؤمنين فضلا عن الدرس والاعتبار في ذلك؛لأنّ طريق الإيمان ونشر الإسلام شاقة وطويلة،وفيه اختبارٌ وتمحيصٌ للمؤمنين بدلالة قوله تعالى بعد الآية محل الشاهد {وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ }[آل عمران١٤١]وهذا كلّه من تمام قوله تعالى قبل الآية محل الشاهد{ولاتَهِنُوا ولاتحزَنُوا وأنتم الأعلون}[آل عمران١٣٩]فبيّن تعالى أنّ الذي أصابكم في بدايات جهادكم ينبغي أن لايزيل جدّكم واجتهادكم في جهاد العدو، فإذا كانوا مع باطلهم وسوء عاقبتهم وماأصابهم في بداية ضلالتهم يوم بدر لم يفتروا فبأن لايلحقكم الفتور مع حسن العاقبة والتمسك بالحق أولى والله أعلم.

وعلى الرغم من ترجيح أبي علي الفارسي القراءة بالفتح؛لقراءة ابن كثير بها،ولأنّ لغة أهل الحجاز الأخذ بها أوجب؛لنزول القرآن عليها(١٨٠) إلاّ أنّ القراءة (بالضم) قد أثرت المعنى وعمّقته كما أوضحنا.

وممّا ورد من ذلك قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }[التوبة١٢٨]فالقراءة المشهورة " من أَنْفُسِكُمْ " بضم عين الكلمة وعليها رسم المصحف .وقد قُرئت " من أَنْفَسِكُمْ " بفتح الفاء(١٨١). وأنْفُسِكُمْ على القراءة المشهورة جمعٌ للنَفْس،وللنَفْسِ معانٍ عدّة منها الروح كقولك خرجت نفسُ فلان:أي روحه..والنَّفْس مايكون به التمييز،والنَّفْس الأخ،والنَّفْس الدم وسمّي بذلك لأنّ النفس تخرج بخروجه، قال السموأل:

تَسيلُ على حدّ الظبات نُفُوسُنا وليسَت على غير السيوف تَسيلُ

وقيل معنى النَّفس جملة الشيء وحقيقته(١٨٢)،وعليه فسّر قوله تعالى: "من أَنْفُسِكُمْ" قال الزمخشري: "من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم،ثمّ ذكر مايتبع المجانسة والمناسبة بقوله:{عزيز عليه ماعنتم}أي:شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم،فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب"(١٨٣) أمّا على قراءة:" أَنْفَسِكُمْ " فهو من النّفاسَة،يُقال شيءٌ نَفيس مُتَنافَسٌ فيه،ونَفِستُ به عليَّ نَفَسا ونَفاسَةً:ضَنِنْتَ،ونَفُسَ الشيءُ نَفاسَةً،أي صارَ نفيسا.وهذا المكانُ أنفَسُ من ذاك أي أبعدُ شيئا(١٨٤) وهذا أنفسُ مالي أي أحَبَّهُ وأكرَمَهُ،والنَفيسُ والمُنْفِسُ المالُ الذي له قَدَرٌ وخطَر،ثمّ عمّ فقيل كلّ شيء له خطَرٌ وقَدَرٌ فهو نَفيسٌ ومُنْفِسٌ؛قال النمر بن تولَب:

لاتَجزَعي إن مُنْفِسا أهلَكتُهُ فإذا هلكتُ فعند ذلك فاجزعي(١٨٥)

وبذلك فُسِّرت قراءة " من أنْفَسِكُمْ " قال ابن جني: "معناهُ من خياركم،ومنه قولهم:هذا أنفس المتاع،أي أجوده وخياره،واشتقه من النفس،وهي أشرف مافي الإنسان "(١٨٦) أي جاءكم رسول الله صلّى الله عليه

وآله وسلم من أشرفكم وأفضلكم. وقيل "من أَنْفَسِكُمْ"أي أكثركم طاعة(١٨٧) وهذه المعاني التي أضافتها هذه القراءة تتناسب مع مقام الرسول الأكرم فهو عليه السلام أشرفهم وأفضلهم في كلّ شيء ويكفيه شرفا أنّه عليه الصلاة والسلام أول التعينات وأنّه كما وصفه الله تعالى على خلق عظيم(١٨٨)

٢ـ بين الضم والكسر:ـ

ورد هذا التغيّر من الضبط الحركي في قوله تعالى على لسان اليهود:{واكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}[الأعراف١٥٦]حيث قُرِئَت " هِدْنا إليك " بكسر الهاء(١٨٩). وهُدْنا بضم الهاء على القراءة المشهورة التي عليها رسم المصحف هي من هادَ يَهُودُ هَوْداً وتَهَوّد:بمعنى تاب ورجع إلى الحق،قال أعرابي:

إنّي امرُؤٌ من مَدْحِهِ هائِدُ

أي تائب(١٩٠) قال الراغب:أصل الهَوْدُ:الرجوع برفْق،ومنه:التهويد،وهو مشيٌ كالدّبيب،وصار الهَوْدُ في التّعارف التّوْبَةَ(١٩١).وبه فسّر قوله تعالى:{إنّا هُدنا إليك}أي رَجعنا بتوبتنا إليك(١٩٢) وقد عدّاهُ بـإلى لأنّ فيه معنى رجعنا(١٩٣)لذلك قيل إنّ معناه:تبنا إليك ورجعنا وقرُبْنا من المغفرة(١٩٤) وقيل:الهُود:الطمأنينة،ويخبر به عن لين السير.ومنه الهوادة وهي السكون، وفسّر به فقيل:سكنّا إلى أمرك(١٩٥).أمّا قراءة:{هِدْنا إليك}بالكسر فهي من هادَه يَهيدُه هَيْدا وَهَيّدَهُ:حَرّكَه وأصلحَهُ. والهَيْدُ: الحَرَكَة. ومالهُ هَيدٌ ولاهادٌ أي حركة؛قال ابن هرمة:

ثمّ استقامتْ لهُ الأعناقُ طائعةً   فما يُقالُ لهُ هَيْدٌ ولا هادُ

أي لايُحرّك ولايُمنع من شيء ولايُزجر عنه(١٩٦) فيكون معنى الآية على هذه القراءة :حرّكنا إليك نفوسنا(١٩٧) قال أبو عمرو بن العلاء(ت١٥٤هـ):لأنهم يَتَهوّدون أي يَتحرّكون عند قراءة التوراة ويقولون إنّ السماوات والأرض تحركت حين آتى الله موسى التوراة(١٩٨)قال ابن جنّي:وأمّا "هِدنا" بكسر الهاء في هذه القراءة فمعناه انجذبنا وتحرّكنا، يُقال : هادَني يهيدُني هيدًا،أي جذبني وحرّكني،فكأنّه قال:إنّا هِدنا أنفسَنا إليك،وحركناها نحو طاعتك(١٩٩) وقيل: هادَهُ يَهيدَهُ إذا أماله وفي الحديث خرج (عليه السلام) في مرضه يتهادى بين اثنين أي يتمايل، ومنه الهدية لأنّها تمال من ملك إلى ملك ومنه الهَدي للحيوان الذي يساق إلى الحرم(٢٠٠) قال الزمخشري بعد أن أورد هذه القراءة:هي من هاده يهيده إذا حرّكه وأماله، ويحتمل أمرين:أن يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى:حرّكنا إليك أنفسنا وأملناها فيكون الضمير فاعلا،أو حرّكنا إليك وأملنا فيكون الضميرمفعولا لم يسم فاعله. وكذلك صحّح الأمرين على قراءة الجماعة بضم الهاء، والبناء للمفعول عليها على لغة من يقول: عود المريض (٢٠١) واعتُرض عليه بأنّه متى حصل التباس وجب أن يؤتى بحركة تُزيله فيقال:عِقت إذا عاقك غيرك بالكسر فقط أو الإشمام إلا أنّ سيبويه جوز في نحو "قِيل" الأوجه الثلاثة من غير احتراز(٢٠٢) وعقّب الآلوسي على

جواز بناء الفعل للمفعول على قراءة الجماعة بضم الهاء قائلا:ولابأس بذلك إذا كان الهود بمعنى الميل سوى أنّ تلك لغة ضعيفة(٢٠٣) وعلى الرغم ممّا تضمنته القراءة المشهورة التي عليها رسم المصحف من معانٍ ودلالات مختلفة إلا أنّ القراءة الأخرى أضافت معاني أخر ذات صلة وثيقة في التعبير عن المقام وبيان الحال التي عليها اليهود.وقد رجّح أبو وجرة السعدي هذه القراءة فيما روي عنه حيث أنكر الضم وقال:والله لاأعلمه في كلام أحد من العرب وإنّما هو هِدنا بالكسر أي ملنا وهو محجوج بالتواتر(٢٠٤).ويبدو لي أنّ الاتّساع في معاني لفظة "هدنا" سواء أكان ذلك على القراءة المشهورة بضم الهاء أم على القراءة الأخرى بالكسر دليل على دقة اختيار هذه اللفظة،فقد عبّرت بمعانيها المختلفة المذكورة آنفا على تمام الخضوع لله سبحانه ولايمكن للفظة أخرى أن تسدّ مسدّها.

٣ــ بين الفتح والكسر:ــ

ورد ذلك في قوله تعالى:{ يقولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ }[القيامة١٠]حيث قُرِئَت "أينَ المَفِرّ " بفتح الميم وكسر الفاء(٢٠٥) وقُرِئَت "المِفَرُّ " بكسر الميم وفتح الفاء(٢٠٦) أمّا القراءة المشهورة التي عليها رسم المصحف "المَفَرُّ "بفتح الميم والفاء فهي من المصدر أي أين الفرار(٢٠٧)،قال الشاعر:

يالَبَكْرٍ أنشِروا لي كُلَيْبا يالَبَكْرٍ أينَ أينَ الفرار(٢٠٨)

قال الأخفش والزجاج: لأنّ كل مصدر يبنى هذا البناء،فإنّما يُجعل مَفْعَلاً(٢٠٩)،وهو قول جمهور أهل اللغة،ومعناه:يقول هذا الإنسان المنكر للقيامة إذا عاين هذه الأحوال أين المَفَرّ(٢١٠) وجُوّز إبقاؤه على حقيقة الاستفهام لدهشته وتحيّره(٢١١) وقيل إنّه يحتمل وجهين:أحدهما:أيـنَ المَفَـرُّ مـن الله استحياء منه.الثاني:أينَ المَفَرُّ من جهنّم حذرا منها. ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين:أحدهما:أن يكون من الكافر خاصة في عَرْضة القيامة دون المؤمن؛لثقة المؤمن ببشرى ربّه.الثاني:أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ماشاهدوا منها(٢١٢) أمّا قراءة " المَفِرّ " بفتح الميم وكسر الفاء فهو الموضع(٢١٣) اسم مكان قياسي من يَفِرّ بالكسر(٢١٤) أي:أين مكان الفرار(٢١٥) قال الأخفش: وإذا أراد المكان قال: المَفِرّ؛لأنّ كل ماكان فعله على يَفْعِلُ كان المَفْعِلُ منه مكسورا،نحو المَضرِب إذا أردت المكان الذي يُضرَب فيه(٢١٦) ومثّل الزجاج لذلك قائلا: فإذا قلت: "جَلَستُ مَجْلِسا" فأنت تريد المكان(٢١٧) وعلى هذا يكون معنى الآية على هذه القراءة: أين الموضع أو المكان الذي يُفَرُّ إليه(٢١٨). ويبدو لي أنّ السياق يؤيد هذه القراءة بدلالة قوله تعالى بعد الآية محل الشاهد:{كَلاّ لاوَزَرَ}[القيامة١١]قال الزجاج: الوَزَر في كلام العرب: الجبل الذي يلجأ إليه،هذا أصله، وكل ماالتجأت إليه وتخلّصت به فهو وزر(٢١٩) أي لاملجأ من النار،روى القرطبي قائلا: " وكان ابن مسعود يقول:لاحصن.وكان الحسن يقول:لاجبل. وابن عباس يقول:لاملجأ.وابن جبير:لامحيص ولامنعة.المعنى في ذلك كله واحد.والوَزَر في اللغة:مايلجأ إليه من حصن أو جبل أو غيرهما؛قال الشاعر:

لَعَمري ماللفتى من وَزَرْ   منَ الموت يُدْرِكهُ والكِبَرْ "(٢٢٠)

وروي عن السَديّ أنّهم كانوا في الدنيا إذا فَزِعوا تَحصّنوا في الجبال، فقال الله لهم: لاوَزَرَ يعصمكم يومئذٍ منّي؛قال طرفة:

ولَقَد تَعلَمُ بَكرٌ أننا   فاضلو الرأي وفي الرّوع وَزَرْ

أي ملجأ للخائف(٢٢١) وبذلك تتناسب المعاني المذكورة لقوله تعالى لاوَزَرَ مع تفسير قراءة: " المَفِرّ " بكسر الفاء بالموضع أو المكان الذي يُفَرّ إليه، فيكون لها أثر فاعل في توجيه المعنى وإثرائه. وروي عن الكسائي أنه ساوى بين قراءة الجمهور " المَفَرّ " وقراءة " المَفِرّ " وجعلهما لغتين مثل "مَدَبّ "و "مَدِبّ "،و"مَصَحّ" و"مَصِحّ "(٢٢٢) وذكر مثل ذلك الفرّاء حيث نقل عن ابن عباس القول:إنّماالمَفَر مَفَر الدابة حيث تفرّ، وهما لغتان المَفِر والمَفَر والمَدِبّ والمَدَبّ ثمّ قال: وما كان يَفعل فيه مكسورا مثل يدبِ ويفِر ويصِح ، فالعرب تقول: مَفِر ومَفَر، ومَصِح ومَصَح، ومَدِب ومَدَب. أنشدني بعضهم:

كأنّ بقايا الأثر فوق متونه   مَدَب الدَّبى فوق النقا وهو سارح(٢٢٣)

ينشدونه: مَدَب، وهو أكثر من مَدِب. ويقال جاء على مَدَب السيل ومَدِب السيل وما في قميصه مَصِح ولامَصَحٌ(٢٢٤) ولايصحّ هذا الكلام هنا بعد أن بيّنا آنفا آراء العلماء في اختلاف القراءتين من حيث المبنى والمعنى.وما ذكره الفراء ومن قبله ماروي عن الكسائي إن كان ينطبق على بعض الكلمات مما جاء منها ثابت الدلالة مع تغير الضبط الحركي بسبب الاختلاف بين لغات القبائل العربية وتعدد الخصائص النطقية بينها، فلايمكن أن يسري على جميع الألفاظ والكلمات، فهذا التغير له قيمه التي تتعلق باختلاف الدلالة إلى جانب قيمه الصوتية وما يتعلق بالعادات النطقية لقبائل معينة. لذلك فإنّ رواة اللغة عن الأعراب كانوا يجدون أنّه من الصعب أن تخضع هذه الظواهر للقياس. ونقل القرطبي اختيار أبي عبيدة وأبي حاتم قراءة الجمهور "المَفَرّ" لأنّه مصدر(٢٢٥). أمّا القراءة الثانية التي جاءت على ضبط آخر " المِفَرّ " بكسر الميم وفتح الفاء. فمعناه الإنسان الجيد الفرار، كقولهم: رجل مِطْعَن ومِضْرَب أي:مِطعان ومِضراب وأكثر مايستعمل هذا الوزن في الآلات وفي صفات الخيل(٢٢٦) وفرس مِفَر بكسر الميم يصلح للفرار عليه(٢٢٧) قال امرؤ القيس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبلٍ مدبرٍ معا   كجلمود صخرٍ حطّه السيل من علِ(٢٢٨)

يريد أنّه حسن الكرّ والفرّجيّده. قال ابن جني في توجيه معنى هذه القراءة " معناه أين الإنسان الجيد الفرار؟ ولن ينجو مع ذلك،لا أنّ هناك مطمعا في الحياة(٢٢٩) وتابعه في ذلك أغلب المفسرين(٢٣٠)

٤ــ بين الضم والفتح في مقابل الفتح والسكون:ــ

لم يقتصر تغيّر الضبط الحركي بين الصوائت القصيرة(الحركات)على الحركة المفردة بل تعدّاه ليشمل حركتين في آن واحد.مثاله ما ورد في قوله تعالى:{وإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ

الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ }[النمل٨٢]حيث وقع التبادل في الحركات بين الضم والفتح مقابل الفتح والسكون على التوالي في قوله "تُكَلّمُهُمْ" إذ قُرئت "تَكْلِمُهُمْ "بفتح التاء وسكون الكاف مع تخفيف اللام(٢٣١) وقد استُدلّ بهذه القراءة لتعضيد أحد وجهي التفسير في قراءة العامة وماعليه رسم المصحف "تُكَلّمُهُمْ " إذ ذهب العلماء في تفسيرها على وجهين:الأول:من الكلام ويؤيده قراءة أُبي "تُنَبِّئُهُمْ"(٢٣٢) وقراءة يحيى بن سلاّم "تُحَدّثُهُمْ "(٢٣٣) والمعنى تُكَلّمُهُم ببطلان سائر الأديان سوى الإسلام ،وقيل تخاطبهم فتقول للمؤمن:هذا مؤمن وللكافر:هذا كافر(٢٣٤) وقيل تُكَلّمُهُم بلسان ذلق فتقول بصوت يسمعه من قرُب وبعُد "أنّ الناس كانوا بآياتنا لايؤمنون" أي بخروجي ؛لأنّ خروجها من الآيات وتقول: ألا لعنة الله على الظالمين(٢٣٥) . الآخر: معنى" تُكَلّمُهُمْ " تَجْرَحُهُمْ،من الكَلْمْ،والتشديد للتكثير كما تقول تُجَرّحَهُم،يقال فلان مُكَلّم أي مُجرّح وقيل تَسِمُهُم(٢٣٦) واستدلّوا على ذلك بقراءة: (تَكْلِمُهُمْ) التي تقدّم ذكرها،قال ابن جني: " تَكْلِمُهُم:تجرَحُهم بأكلها إياهم،وهذا شاهد لمن ذهب في قوله:تُكَلّمُهُم إلى أنّه بمعنى تَجرَحُهم بأكلها إياهم. ألا ترى أن تَكْلِمُهُمْ لايكون إلاّ من الكَلْم وهو الجرح.وهذه المادّة مما وضعته العرب عبارة عن الشدة هي وتقاليبها الستة...وإن شئت كان هذا شاهدا لمن ذهب إلى أنّ تُكَلّمُهُمْ تجرحهم،أي تفعل بهم ذلك بكفرهم وزوال يقينهم "(٢٣٧).وساوى ابن عباس بين قراءة العامة والقراءة الأخرى حيث روي أنّه سُئل عن هذه الآية "تُكَلّمُهُمْ " أو "تَكْلِمُهُمْ "فقال: هي والله تُكَلِمُهُمْ وتَكْلِمُهُمْ؛تُكَلّمُ المؤمن وتَكْلِم الكافر والفاجر أي تجرحه(٢٣٨).وهذا ـــ إن صحّت هذه الرواية ـــ اعتراف صريح من ابن عباس رضي الله عنه بأهمية وأثر تغيّر الضبط الحركي بين الصوائت القصيرة (الحركات) على تنوّع المعنى وثرائه، فقد أضافت قراءة الإبدال معنى جديدا ساهم في بيان الصورة الكلية للمشهد القرآني وإيضاح معناه.

الخاتمة ونتائج البحث:ــ

بعد رحلة التقصّي والبحث في ميدان القراءات القرآنية عمّا يمكن أن يؤدي إليه الإبدال الصوتي في الصوامت وتغير الضبط الحركي في الصوائت القصيرة(الحركات) من أثر في تنوّع المعنى توصّل البحث إلى جملة من النتائج أهمّها مايأتي:ــ

١ــ قد يؤدي الإبدال الصوتي أو تغيّر الضبط الحركي الحاصل في القراءات القرآنية سواء أكان ذلك على مستوى الحرف الصامت أم على مستوى الصائت القصير(الحركة)إلى اختلاف في المعنى مع ملاحظة أنّ ذلك الاختلاف ليس اختلاف تناقض بل هو تنوع في الفهم وإثراء للمعنى بما يعمق المراد ويزيده وضوحا.

٢ــ على الرغم ممّا تتضمنه قراءة الإبدال من إثراء للمعنى إلاّ أنّ بعض القرائن السياقية قد تكون عاملا مساعدا في ترجيح القراءة التي عليها رسم المصحف،كما في قراءة " عِشاوةٌ " في حين قد تكون

هذه القرائن عاملا في ترجيح القراءة التي حصل فيها تغيّر في الضبط الحركي كما هو الحال في قراءة "هِدْنا إليك " بالكسر حيث أضافت معاني لها علاقة وثيقة في التعبير عن المقام وبيان الحال.وقد يكون السياق العام مرجحا لقراءة التبادل بين الحركات القصيرة كما هو الحال في قراءة "المَفِرُّ " بكسر الفاء.

٣ــ قد تبلغ قراءة الإبدال مكانة تتساوى فيها مع القراءة المشهورة التي عليها رسم المصحف لانقياد معنيهما فلاتوجد حجّة تقضي بالصواب لإحداهما على الأخرى كما ذهب إلى ذلك الطبري حين ساوى بين قراءتي "نُنْشِزُها "و"نُنْشِرُها". وما نُقل عن ابن عباس حين ساوى بين القراءة التي عليها رسم المصحف " تُكَلِّمُهُمْ " والقراءة التي حصل فيها تغيّر في الضبط الحركي " تَكْلِمُهُمْ ".

٤ــ قد ينتج عن الإبدال بين الصوتين اختلاف وتغايرٌ في المعنى كما هو الحال بين صوتي الشين والسين،وبناء على هذا الاختلاف تمّ ترجيح قراءة الإبدال على القراءة المشهورة لأنها أشد إفصاحا بالعدل من القراءة الفاشية كما في قراءة "من أساء " بالسين حيث رجحها بعض علماء اللغة مثل ابن جني وبعض أئمة المذاهب كالشافعي.

٥ــ ماينطبق على بعض الكلمات مما جاء منها ثابت الدلالة مع تغير الضبط الحركي بسبب الاختلاف بين لغات القبائل العربية وتعدد الخصائص النطقية بينها ليس قاعدة سارية بل كثير من هذا التغير له قيمه التي تتعلق باختلاف الدلالة إلى جانب قيمه الصوتية ومايتعلق بالعادات النطقية.

الهوامش:ــ

١ــ ينظر لسان العرب:١:٣٤٤.

٢ــ ينظر شرح شافية ابن الحاجب٣:١٩٧

٣ــ ينظر فقه اللغة وخصائص العربية:٦٦

٤ــ ينظر كتاب الإبدال:٦٤و٧٨

٥:ــ ينظر الصاحبي:٢٠٤

٦ــ ينظرفقه اللغة وخصائص العربية:٢٤٧

٧ــ ينظر الدراسات اللغوية عند العرب:٤٠٨.

٨ــ ينظر الكتاب:٣:٥٤٨.

٩ــ ينظر الرعاية:١٢٢.

١٠ــ ينظر الكتاب:٤:٢٣٧والمقتضب:١:٦١والمفصل:٣٦٠.

١١ــ ينظر من أسرار اللغة:٧٢.

١٢ــ ينظر الدراسات اللغوية عند العرب:٤١٧.

١٣ــ المزهر في علوم اللغة:١:٥٥٦.

١٤ــ ينظر لسان العرب:١٢:٢٣٥.

١٥ــ الذعالت:الذعالب، جمع ذِعلبة بكسرتين بينهما سكون وهو طرف الثوب أو ماتقطع منه، والسمول:جمع سمل وهو الثوب البالي.ينظر اللسان:٦:٣٦٩.

١٦ــ ١:١٦٧

١٧ــ سر صناعة العرب:١:١٩٢ــ١٩٣.

١٨ــ ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية:٢٣٢.

١٩ــ ينظر الصاحبي:٢٠٤.

٢٠ــ م.ن:٢٠٤.

٢١ــينظر الدراسات اللغوية عند العرب:٤٨٥.

٢٢ــ ينظر من أسرار اللغة:٧٥.

٢٣ــ م.ن:٥٤.

٢٤ــ م.ن:٨٤.

٢٥ــ ينظر التعبير القرآني:١٥٦.

٢٦ــ ينظر المفردات:١٤٠والتعبير القرآني:١٥٦.

٢٧ــ أ.د.نهاد فليح حسن:مجلة المورد، العددالرابع٢٠٠٩:ص٦٩.

٢٨ــ ينظر معاني القرآن للكسائي:المقدمة:٢٩ومابعدها.

٢٩ــ ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري٩:٣١وجدلية المبنى والمعنى في فكر الخليل:٧٨.

٣٠ــ ينظر جدلية المبنى والمعنى في فكر الخليل:٧٨.

٣١ــ ينظر الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:١٣٩.

٣٢ــ ينظر سر صناعة الإعراب:١:٢٥٥.

٣٣ــ ينظر الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:١٣٩.

٣٤:ذكرت هذه القراءة في الكشاف:١:٤٣والتفسير الكبير:١:٤٩والبحر المحيط١:١٧٧وروح المعاني:١:١٣٩ولم تعز إلى قاريء معين.

٣٥ــ ينظر المفردات:٦٠٧ولسان العرب:١٠:٧٦.

٣٦ــ البيت للحارث بن خالد المخزومي:جامع البيان:١:١٤٧ولسان العرب:١٠:٧٦وفيه صحبتك بدل من تبعتك.

٣٧ــ ينظر المفردات:٦٠٧.

٣٨:ينظر جامع البيان:١:١٤٧والجامع لأحكام القرآن:١:١٤٠.

٣٩:ينظر معاني القرآن وإعرابه:١:٧٣وتفسير أبي السعود:١:٥٥.

٤٠ــ ينظر روح المعاني:١:١٣٩.

٤٢ــ ينظر جامع البيان:١:١٤٧.

٤٣ــ ينظر معاني القرآن وإعرابه:١:٧٣.

٤٤:نسبه إليه محقق كتاب معاني القرآن للفراء:١:٤٧٣هامش١وأحال على كامل المبرد بشرح المرصفي:٣:٢٣٤وهو بلا عزو في لسان العرب:١١:٢٧٦قلّد.

٤٥ــ ينظر الحجة في القراءات السبع:٢٣.

٤٦:ينظر الجامع لأحكام القرآن:١٤٠:١.

٤٧:ينظر روح المعاني:١٣٩:١

٤٨:المفردات:٥٦٧ عشا.

٤٩:لسان العرب:٢٢٥:٩عشا.

٥٠:البيت من معلقته التي مطلعها:أمن أمّ أوفى دمنةٌ لم تكلّمِ   فحومانة الدرّاج فالمتثلّم. ينظر شرح المعلقات السبع:٧٤.

٥١ــ ينظر روح المعاني:١٣٩:١.

٥٢ــ ينظر البحر المحيط:١٧٧:١

٥٣ــ ينظر الميزان:٤٤:١

٥٤ــ م.ن:٢٧:١

٥٥ــ ينظر الجنى الداني في حروف المعاني:٤٤٤

٥٦ــ م.ن:٤٤٥

٥٧ــ ينظر الأصوات اللغوية:٤٦

٥٨:نسب الفراء هذه القراءة إلى ابن عباس.ينظر معاني القرآن:١٧٣:١ونسبها أبو علي الفارسي إلى ابن كثير ونافع وابي عمرو.ينظر الحجة للقراء السبعة٤٧٠:١ونسبها الطبري إلى قراء المدينة عامتهم من دون تحديد.ينظر جامع البيان:٤٦:٣وقال أبو حيان:قرأ بها الحرميان وأبو عمرو.ينظر البحر المحيط:٣٠٥:٢.

٥٩:نسبها الفراء إلى الحسن:ينظر معاني القرآن:١٧٣:١وقال أبو علي الفارسي:روى عبد الوهاب عن أبان عن عاصم " كيف نَنْشُرُها" بفتح النون الأولى وضم الشين وبالراء مثل قراءة الحسن.ينظر الحجة للقراء السبعة:٤٧٠:١ونسبها أبو حيان إلى ابن عباس والحسن وأبو حيوة وأبان عن عاصم.ينظر البحر المحيط :٣٠٥:٢ .

٦٠:ينظر لسان العرب:١٤٢:١٤نشز.

٦١ــ ينظر جامع البيان:٦:٣

٦٢ــ أنشده القرطبي بلا عزو مستدلا به على أنّ النشز المرتفع من الأرض.ينظر الجامع لأحكام القرآن:٢٠٠:٣

٦٣ــ ينظر جامع البيان:٤٦:٣.

٦٤ــ ينظر لسان العرب:١٤٢:١٤نشز.

٦٥:م.ن:١٤٣:١٤.

٦٦:ينظر معاني القرآن١٧٣:١.

٦٧:ينظر جامع البيان:٤٦:٣.

٦٨:معاني القرآن وإعرابه:٢٧١:١.

٦٩ــ ينظر الحجة للقراء السبعة:٤٧٢:١.

٧٠ــ ينظر البحر المحيط:٣٠٥:٢.

٧١ــ ينظر الميزان:٣٤٧:٢.

٧٢:ينظر الصحاح:٥٦٣:٢نشر ولسان العرب:١٤٠:١٤نشر.

٧٣:ديوانه:١٩١.

٧٤:ينظر الصحاح:٢:٥٦٣نشر والمفردات:٨٠٥.

٧٥ــ ينظر معاني القرآن للفراء:١:١٧٣.

٧٦ــ ينظر جامع البيان:٣:٤٦.

٧٧ــ ينظر معاني القرآن للفراء:١:١٧٣وجامع البيان:٣:٤٦

٧٨:ينظر الحجة للقراء السبعة:١: ٤٧٠ ــ ٤٧١

٧٩ــ م.ن:١:٤٧١.

٨٠: ينظر معاني القرآن:١:١٧٣

٨١ــ البيت لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين:١٢٧وينظر الصحاح:٢:٥٦٣

٨٢:ينظر معاني القرآن:١:١٧٣

٨٣ــ ينظر معاني القرآن للأخفش:١:١٨٢

٨٤ــ ينظر الجامع لأحكام القرآن:٣:٢٠٠.

٨٥ــ ينظر المفردات:٨٠٥.

٨٦:ينظر معاني القرآن للأخفش:١:١٨٢

٨٧:حسرت:أعيت وكلّت.ينظر لسان العرب:٣:١٦٨حسر.

٨٨ــ الرجز للعجاج:ديوانه:٢:١٩٥.وتسمّى الناقة عَنسا إذا تمّت سنتها واشتدّت قوتها ووفر عظامها وأعظاؤها:لسان العرب٩:٤٢٦عنس

٨٩ــ ينظر الحجة للفراء السبعة:١:٤٧١ــ ٤٧٢

٩٠ــ البت لدعبل الخزاعي:ينظر المفردات:٨٠٥

٩١ــ ينظر الحجة في القراءات السبع:٤٦

٩٢:ينظر الجامع لأحكام القرآن:٣:٢٠٠

٩٣ــ ١:٣٠٣.

٩٤ــ ينظر جامع البيان:٣:٤٦.

٩٥ــ م.ن:٣:٤٦

٩٦ــ ينظر البحر المحيط:٢:٣٠٥

٩٧ــ ينظر الأصوات اللغوية:١٧

٩٨:ينظر الكتاب:٤:٤٣٤

٩٩ــ م.ن:٤:٤٣٤

١٠٠ــ م.ن:٤:٤٣٤

١٠١ــ ينظر سر صناعة الإعراب:١:٢١٥

١٠٢ــ ينظر دروس في علم أصوات العربية:٩٧ــ ٩٨والدراساتاللهجية والصوتية عند ابن جني:١٦١

١٠٣ــ ينظر الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:١٦١

١٠٤ــ وهي قراءة الحسن وعمرو الأسواري:ينظر المحتسب:٣٧٣:١والكشاف:٣٩٠:٩ومجمع البيان:٧٤٦:٤ونسبت إلىزيد بن علي وطاووس وعمرو بن فائد وسفيان بن عيينة:ينظر البحر المحيط:٤٠٠:٤وروح المعاني:٧٢:٥.

١٠٥ــ ينظر لسان العرب:٢٤٨:٧شيأ.

١٠٦ــ ينظر المفردات:٤٧٢شيأ.

١٠٧ــ م.ن:٤٧٢

١٠٨ــ ينظر الكشاف:٣٩٠:٩

١٠٩ــ ينظر مجمع البيان:٧٤٧:٤

١١٠ــ ينظر البحر المحيط:٤٠٠:٤

١١١ــ ينظر التفسير الكبير:١٩:٥

١١٢ــ ينظر لسان العرب:٤١٦:٦

١١٣ــ ينظر لسان العرب:٤١٧:٦

١١٤ــ ينظر لسان العرب:٤١٧:٦

١١٥ــ ديوانه:٩٩ وينظر لسان العرب:٤١٦:٦

١١٦:ينظر لسان العرب:٤١٧:٦

١١٧:م.ن:٤١٦:٦

١١٨ــ ينظر المحتسب:٣٧٣:١

١١٩ــ م.ن:٣٧٣:١

١٢٠ــ ينظر البحر المحيط:٤٠٠:٤

١٢١ــ ينظر التفسير الكبير:١٩:٥

١٢٢ــ ينظر البحر المحيط:٤٠٠:٤

١٢٣ــ ينظر البحر المحيط:٤٠٠:٤وروح المعاني:٧٢:٥

١٢٤ــ ينظر مجمع البيان:٧٤٧:٤

١٢٥ــ ينظر روح المعاني:٧٢:٥ــ ٧٣

١٢٦ــ ينظر المقتضب:٢٢٥:١

١٢٧ــ ينظر الرعاية:٣٠٩

١٢٨:ينظر الكتاب:٤٣٣:٤

١٢٩ــ م.ن:٤٣٣:٤

١٣٠ــ ينظر سر صناعة الإعراب:٢٢٥:١

١٣١ــ م.ن:٢٢٥:١

١٣٢ــ م.ن:٢٢٥:١

١٣٣ــ قرأبها ابن عباس:ينظر معاني القرآن للفراء:٢١٢:٢والمحتسب:١١١:٢والبحر المحيط:٣١٥:٦

١٣٤ــ رويت عن ابن عباس:بنظر البحر المحيط:٣١٥:٦وقرأ بها كثيّر عزة:ينظر المحتسب:١١١:٢والبحر المحيط:٣١٥:٦

١٣٥ــ وهي قراءة الإمام علي عليه السلام وعائشة وابن الزبير وأبي بن كعب وعكرمة.ينظر معاني القرآن للفراء:٢:٢١٢والمحتسب:٢:١١١والبحر المحيط:٦:٣١٥

١٣٦ــ ينظر لسان العرب:٣:١٩٧حصب

١٣٧ــ م.ن:٣:١٩٧حصب

١٣٨ــ ديوانه:٣٥٥وينظر الصحاح:١:٣٩٣حصب

١٣٩ــ ديوانه:٢٣٦وينظر تهذيب اللغة:٤:٧٣٠حصب

١٤٠ــ ينظر تهذيب اللغة:٤:٧٣٠ولسان العرب:٣:١٩٨حصب

١٤١ــ ينظر تهذيب اللغة:٤:٧٣٠حصب

١٤٢ــ ينظر لسان العرب:٣:١٩٨حصب

١٤٣ــ ينظر تهذيب اللغة:٤:٣٧٠حصب

١٤٤ــ ينظر معاني القرآن:٢:٢١٢

١٤٥ــ ينظر التفسير الكبير:٢:١٩٤

١٤٦ــ ينظر البحر المحيط:٦:٣١٥

١٤٧ــ ينظر معاني القرآن للفراء:٢:٢١٢

١٤٨ــ ينظر لسان العرب:٢:٢١٢حضب

١٤٩ــ ينظر تهذيب اللغة:٤:٢٢٠حضب

١٥٠ــ ديوانه:٢٣٦وينظر الصحاح:١:١٧٢حضب ولسان العرب:١:٢١٢حضب

١٥١ــ ينظر تهذيب اللغة:٤:٢٢٠حضب

١٥٢ــ ينظر المحتسب:٢:١١١

١٥٣ــ ينظر لسان العرب:٣:٢٢٣حضب

١٥٤ــ ينظر معاني القرآن:٢:٢١٢

١٥٥ــ ينظر المحتسب:٢:١١١

١٥٦ــ ينظر روح المعاني:٩:٩١

١٥٧ــ م.ن:٩:٩١

١٥٨ــ م.ن:٩:٩١

١٥٩ــ ينظر تاج العروس:١:٢٨٤حصب

١٦٠ــ ينظر الصحاح:١:١٧١حصب

١٦١ــ ينظر تهذيب اللغة:٤:٢٦٠

١٦٢ــ ينظر القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:٢٨٣ومعاني القرآن للكسائي:٢٩

١٦٣ــ ينظر العربية الفصحى:٥٨وجدلية المنى والمعنى في فكر الخليل:٨١

١٦٤ــ المنهج الصوتي للبنية العربية:٤٣ــ٤٤وجدلية المبنى والمعنى في فكر الخليل:٨١

١٦٥ــ ينظر التيسير في القراءات السبع:٧٥والحجة للقراء السبعة:٣:٣٩

١٦٦ــينظر العين مرتبا على حروف المعجم:٣:٣٧١

١٦٧:ينظر المفردات:٦٦٥قرح

١٦٨:ينظر لسان العرب:١١:٨٩قرح

١٦٩:ينظر معاني القرآن:١:٢٣٤

١٧٠:ينظر مجمع البيان:٢:٨٤٣

١٧١ــ يتظر الحجة في القراءات السبع:٥٥

١٧٢:ينظر لسان العرب:١١:٨٩قرح،وروح المعاني:٢:٢٨٢

١٧٣ــ ينظر الحجة للقراء السبع:٢:٣٩والحجة في القراءات السبع:٥٥

١٧٤ــ ينظر الحجة للقراء السبع:٢:٣٩

١٧٥ــ ينظر التفسير الكبير:٩:١٣

١٧٦ــ ينظر التفسير الكبير:٩:١٣ولسان العرب:١١:٨٩قرح

١٧٧ــ ينظر معاني القرآن:١:٢٣٤

١٧٨ــ ينظر المفردات:٦٦٥قرح

١٧٩ــ ينظر لسان العرب:١١:٩٠قرح

١٨٠ــ ينظر الحجة للقراء السبعة:٣٩:

١٨١ــ وهي قراءة عبد الله بن قسيط المكي:ينظر المحتسب:١:٤٢٦وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة عليها السلام وعائشة:ينظر الكشاف:١١:٤٥٥والجامع لأحكام القرآن:٨:٢٢٣والبحر المحيط:٦:٥٣ونسبت إلى ابن عباس وابن علية وابن محيصن والزهري:ينظر مجمع البيان:٥:١٢٨

١٨٢ــ ينظر لسان العرب:١٤:٢٢٣ــ ٢٢٤نفس

١٨٣ــ الكشاف:١١:٤٥٥

١٨٤ــ العين مرتبا على حروف المعجم:٤:٢٥٠

١٨٥ــ ينظر لسان العرب:١١:٢٣٦ــ ٢٣٧نفس

١٨٦ــ المحتسب:١:٤٢٦وينظر الكشاف:١١:٤٥٥والجامع لأحكام القرآن:٨:٢٢٣

١٨٧ــ ينظر الجامع لأحكام القرآن٨:٢٢٣

١٨٨ــ ينظر روح المعاني:٦:٥٣

١٨٩ــ قرأ بها أبو وجرة السعدي:ينظر المحتسب:١:٣٧٢وقراءة زيد بن علي:ينظر البحر المحيط:٤:٤٠٠وروح المعاني:٥:٧٢

١٩٠ــ ينظر لسان العرب:١٥:١٥٦هود

١٩١ــ ينظر المفردات:٤٨٦هود

١٩٢ــ ينظر مجمع البيان:٤:٧٤٧

١٩٣ــ ينظر لسان العرب:١٥:١٥٦هود

١٩٤ــ م.ن:١٥:١٥٦هود

١٩٥ــ ينظر التبيان في إعراب القرآن:١:٢٨١

١٩٦ينظر لسان العرب:١٥:١٧٦هود

١٩٧ــ ينظر التبيان في إعراب القرآن:١:٢٨٦

١٩٨ــ ينظر معالم التنزيل:١:٧٩

١٩٩:ينظر المحتسب:١:٣٧٢

٢٠٠ــ ينظر الجامع لأحكام القرآن:١:١٤٧

٢٠١ــ ينظر الكشاف :٩:٣٩

٢٠٢ــ ينظر روح المعاني:٥:٧٢

٢٠٣ــ م.ن:٥:٧٢

٢٠٤ــ م.ن:٥:٧٢

٢٠٥ــ قراءة ابن عباس:ينظر معاني القرآن للفراء:٣:٢١٠ونسبها ابن جني إلى ابن عباس وعكرمة وأيوب السختياني والحسن البصري ينظر المحتسب:٢:٤٠٢وقال أبو حيان:وقرألحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن بن زيد وابن عباس والحسن البصري وعكرمة وأيوب السختياني وكلثوم بن عياض ومجاهد وابن يعمر وحماد بن سلمة وأبو رجاء وعيسى وابن أبي إسحاق وأبي حيوة وابن أبي عبلة والزهري، بكسر الفاء.ينظر البحر المحيط:٨:٣٧٧

٢٠٦ــ قرأ بها الزهري.ينظر المحتسب:٢:٢٠٤والجامع لأحكام القرآن:١٩:٦٨ونسبت إلى الحسن البصري والزهري.ينظر البحر المحيط:٨:٣٧٧

٢٠٧ــ ينظر معاني القرآن للأخفش الأوسط:٢:٥١٧ومعاني القرآن وإعرابه:٤:٢٩٣والمحتسب٢:٤٠٢

٢٠٨ــ البيت للمهلهل بن ربيعة التغلبي استشهد به الأخفش الأوسط حين فسّر المَفَرّ بالفِرار.ينظر معاني القرآن:٢:٥١٧

٢٠٩ــ ينظر معاني القرآن:٢:٥١٧ومعاني القرآن وإعرابه:٤:٢٩٤

٢١٠ــ ينظر التفسير الكبير:٣٠:١٩٥

٢١١ــ ينظر روح المعاني:١٥:١٥٤

٢١٢ــ ينظر التفسير الكبير:٣٠:١٩٥

٢١٣ــ ينظر لسان العرب:١٠:٢١٧قرح

٢١٤ــ ينظر روح المعاني:١٥:١٥٤

٢١٥ــ ينظر معاني القرآن وإعرابه:٤:٢٩٣

٢١٦ــ ينظر معاني القرآن:٢:٥١٧

٢١٧ــ ينظر معاني القرآن وإعرابه:٤:٢٩٤

٢١٨ــ المحتسب:٢:٤٠٢

٢١٩ــ ينظر معاني القرآن وإعرابه:٤:٢٩٤

٢٢٠ــ ينظر الجامع لأحكام القرآن:١٩:٦٨

٢٢١ــ م.ن:١٩:٦٨

٢٢٢ــ م.ن:١٩:٦٨

٢٢٣ــ البيت لم يعز إلى قائل معين ومعنى الدَّبى الجراد الذي يطير

٢٢٤ــ ينظر معاني القرآن:٣:٢١٠

٢٢٥ــ ينظر الجامع لأحكام القران:١٩:٦٨

٢٢٦ــ ينظر المحتسب:٢:٤٠٢والبحر المحيط:٨:٣٧٧وروح المعاني:١٥:١٥٤

٢٢٧ــ ينظر لسان العرب:١٠:٢١٧فرر

٢٢٨ــ ديوانه:١١٩

٢٢٩ــ ينظر المحتسب:٢:٤٠٢

٢٣٠ــ ينظر الجامع لأحكام القرآن:١٩:٦٨والبحر المحيط::٨:٣٧٧وروح المعاني:١٥:١٥٤.

٢٣١ــ وهي قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والجحدري وأبي زرعة.ينظر المحتسب:٢:١٨٩ونسبت إلى أبي زرعة وابن عباس والحسن وأبي رجاء.ينظر الجامع لأحكام القرآن:١٣:١٥٥ونسبت إلى ابن عباس ومجاهد وابن جبير وأبي زرعة والجحدري وأبي حيوة وابن أبي عبلة.ينظر البحر المحيط:٧:٩٢

٢٣٢ــ ينظر المحتسب:٢:١٨٩ والبحر المحيط:٧:٩١

٢٣٣ــ ينظر البحر المحيط:٧:٩١

٢٣٤ــ م.ن:٧:٩١

٢٣٥ــ ينظر الجامع لأحكام القرآن:١٣:١٥٥

٢٣٦ــ ينظر التفسير الكبير:٢٤:١٨٧والجامع لأحكام القرآن:١٣:١٥٥

٢٣٧ــ المحتسب:٢:١٨٩ــ ١٩٠وينظر الجامع لأحكام القرآن:١٣:١٥٥والبحر المحيط:٧:٩١ــ ٩٢

٢٣٨ــ ينظر الجامع لأحكام القرآن:١٣:١٥٥والبحر المحيط:٧:٩٢.

ثبت المصادر والمراجع:ــ

١ــ القرآن الكريم

٢ــ الأصوات اللغوية:الدكتور ابراهيم أنيس،ط٤،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة١٩٧١م.

٣ــ تاج العروس من جواهر القاموس:للسيد محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي (ت١٢٠٥هــ)،تح عبد الستار أحمد فراج،مطبعة حكومة الكويت،١٣٨٥هــ ــ١٩٦٥م.

٤ــ التبيان في إعراب القرآن:لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري(ت٦١٦هــ) دار الكتب العلمية،ط١،بيروت ــ لبنان،١٣٩٩هــــ١٩٧٩م

٥ـــ التعبير القرآني:تأليف الدكتور فاضل السامرائي،طبع بمطابع دار الكتب للطباعة والنشر،جامعة الموصل،١٩٨٧م.

٦ــ تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي(ت٩٨٢هــ) منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،بيروت ــ لبنان ط١٤١٩،١هــ ــ ١٩٩٩م.

٧ــ تفسير البحر المحيط:لأبي حيان الأندلسي(٧٤٥هــ)تح،الشيخ أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض،دار الكتب العلمية،بيروت ــ لبنان،ط ١٤٢٨،٢هــ٢٠٠٧م.

٨ــ تفسير الطبري:المسمّى جامع البيان في تأويل القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هــ)منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت ــ لبنان،ط٤، ١٤٢٦هــ ٢٠٠٥م.

٩ــ التفسير الكبير: أو مفاتيح الغيب: للإمام فخر الدين الرازي(ت٦٠٤هــ)،ط/٢،دار الكتب العلمية،بيروت ــ لبنان،١٤٢٥هــ ــ ٢٠٠٤م.

١٠ــ تهذيب اللغة:لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت٣٧٠هــ) تح،عبد السلام هارون،راجعه محمد علي النجار ،د ــ ت.

١١ــ التيسير في القراءات السبع:للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت٤٤٤هــ)،عني بتصحيحه أرتر يرتزل،منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمة،بيروت ــ لبنان،١٤٢٦هــ ٢٠٠٥م.

١٢ــ الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هــ) اعتنى به وصححه هشام سمير البخاري،دار إحياء التراث العربي ،ط١،بيروت ــ لبنان،١٤٢٢هــ ــ ٢٠٠٢م.

١٣ــ جدلية المبنى والمعنى في فكر الخليل اللغوي(ت١٧٠هــ) دراسة تطبيقية في مجال القراءات القرآنية:أ.د.نهاد فليح حسن،مجلة المورد،دار الشؤون الثقافية العامة،المجلد السادس والثلاثون العدد الرابع لسنة٢٠٠٩م.

١٤ــ الجنى الداني في حروف المعاني:حسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هــ)، تح: د.طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٣٩٦هــ – ١٩٧٦م.

١٥ــ الحجة في القراءات السبع:لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه(ت٣٧٠هــ)تح،أحمد فريد المزيدي،دار الكتب العلمية،ط٢،بيروت ــ لبنان١٤٢٨هــ ــــ ٢٠٠٧م.

١٦ــ الحجة للقرّاء السبعة:لأبي علي الفارسي(ت٣٧٧هــ)وضع حواشيه وعلّق عليه كامل مصطفى الهنداوي،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت ــــ لبنان١٤٢١هــ ــ ٢٠٠١م.

١٧ــ الدراسات اللغوية عند العرب:،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت ــ لبنان١٩٨٠م.مجلة اللسان العربي.

١٨ــ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:الدكتور حسام النعيمي،دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م.

١٩ــ دروس في علم أصوات العربية:جان كانتينو،تعريب صالح القرمادي،تونس ١٩٦٦م.

٢٠ــ ديوان الأعشى:(ميمون بن قيس) تح، الدكتور محمد حسين، المطبعة النموذجية بمصر،١٩٥٠م.

٢١ــ ديوان العجاج برواية الأصمعي ،تح،الدكتور عزة حسن،ط بيروت١٩٧١م.

٢٢ــ ديوان لبيد بن ربيعة العامري:تح:احسان عباس،الكويت١٩٦٢.

٢٣ــ ديوان امريء القيس:تح محمد أبو الفضل ابراهيم،ط/١ دار المعارف بمصر١٩٥٨م.

٢٤ــ روح المعاني:للعلاّمة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هــ)ضبطه وصحّحه علي عبد الباري عطية،دار الكتب العلمية،ط٢،بيروت ــ لبنان،١٤٢٦هــ ــ ٢٠٠٥م.

٢٥ــ الرعاية:مكي بن أبي طالب(ت٤٣٧هــ)تح:أحمد حسن فرحات،ط٢، دار عمار، الأردن،١٩٨٤م.

٢٦ــ سر صناعة الإعراب:لأبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هــ)ط١،دار الكتب العلمية،١٤٢١هــ ــ ٢٠٠٠م.

٢٧ــ شرح أشعار الهذليين:صنعة أبي سعيد الحسن بن حسين السكّري،حقّقه عبد الستار أحمد فرّاج وراجعه محمود محمد شاكر.مكتبة دار العروبة، القاهرة،د.ط ود.ت.

٢٨ــ شرح شافية ابن الحاجب:لرضي الدين الأستراباذي(ت٦٨٦هــ)تح محمد زفزاف وآخرين،مطبعة حجازي بالقاهرة،١٣٥٨هــ.

٢٩ــ شرح المعلقات السبع:للزوزني،عني بتصحيحها وضبطها لجنة من العلماء،مكتبة ومطبعة محمدعلي صبيح وأولاده،مصر د.ت.

٣٠ــ الصاحبي في فقه اللغة:لأحمد بن فارس(ت٣٩٥هــ)تح،الدكتور مصطفى الشويمي،مؤسسة بدران للطباعة والنشر١٩٦٤م.

٣١ــ الصحاح:تاج اللغة وصحاح العربية:لأبي نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهري(ت٣٩٣هــ)تح:الدكتورأميل بديع والدكتور محمد نبيل،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت ــ لبنان،د.ت.

٣٢ــ العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي:هنري فليش،تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين،ط٢،القاهرة١٩٩٧م.

٣٣ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري:للعسقلاني(ت٨٥٢هـ)تح،محمد فؤاد عبد الباقي،الرياض،د.ت.

٣٤ــ فقه اللغة وخصائص العربية:لأبي منصور الثعالبي(ت٤٣٩هـ)تح،مصطفى السقا وآخرين،ط٢،مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر،القاهرة،١٩٥٤م.

٣٥ــ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: الدكتو عبد الصبور شاهين،ط،القاهرة ــ ١٩٩٦م.

٣٦ــ الكتاب:لسيبويه(ت١٨٠هـ)تح،عبد السلام هارون،ط٣،عالم الكتب،بيروت،١٩٨٣م.

٣٧ــ كتاب الإبدال:لابن السكيت،تح، الدكتور حسين محمد شرف،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،القاهرة١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م.

٣٨ــ كتاب العين مرتبا على حروف المعجم:تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ)ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،ط١،بيروت ــ لبنان١٤٢٤هـ ــ٢٠٠٣م

٣٩ــ الكشاف:لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)اعتنى به وخرج أحاديثه وعلّق عليه خليل مأمون شيحا،دار المعرفة،ط١،بيروت ـــــــ لبنان،١٤٢٣هـ ـــــــ ٢٠٠٢م.

٤٠ــ لسان العرب:لابن منظور(ت٧١١هـ)،دار إحياء التراث العربي،مؤسسة التاريخ العربي،بيروت ــ لبنان.

٤١ــ مجمع البيان في تفسير القرآن:للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت٥٤٢ه)ط٧،طهران،١٤٢٥ه.

٤٢ــ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءاتوالإيضاح عنها: لأبي الفتح عثمان بن جنّي(ت٣٩٢هـ)تح:محمد عبد القادر عطا،منشورات محمد علي بيضون،ط١٤١٩،١ه ـــــــ ١٩٩٨م،دار الكتب العلميةـ ـــــــ بيروت ـــــــ لبنان.

٤٣ــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها:للسيوطي(ت٩١١هـ)تح،محمد جاد المولى وآخرين،منشورات المكتبة العصرية،بيروت١٩٨٦م.

٤٤ــ المصطلح الصوتي في الدراسات العربية:الدكتورعبد العزيز سعيد الصيغ،دار الفكر،ط١،دمشق ١٤٢١هـ ــ ١٩٩٨م.

٤٥ــ معالم التنزيل: للحسين بن مسعود الفراء البغوي(ت٥١٦هـ)تح،خاللد العك ومروان سوار،دار المعرفة،ط٢بيروت ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م.

٤٦ــ معاني القرآن:لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء(٢٠٧هـ)ط٣،عالم الكتب،بيروت،١٤٠٣هـ ـــــــ ١٩٨٣م.

٤٧ــ معاني القرآن:للأخفش الأوسط،سعيد بن مسعدة(٢١٥هـ)تح:فائز فارس،المطبعة العصرية،الكويت١٩٨١.

٤٨ــ معاني القرآن :لعلي بن حمزة الكسائي(ت١٨٩هـ) أعادبناءه وقدّم له الدكتور عيسى شحاته عيسى ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،د.ت.

٤٩ــ معاني القرآن وإعرابه:لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن السري الزجاج(ت٣١١هـ)علّق عليهأحمد فتحي عبد الرحمن،دار الكتب العلمية،بيروت ــ لبنان،ط١٤٢٨،١ه ــ ٢٠٠٧م

٥٠ــ مفردات ألفاظ القرآن الكريم:للراغب الأصفهاني(ت٤٢٥هـ)دار القلم،دمشق،الدار الشامية،بيروت،ط٤، ١٤٢٥هـ.

٥١ــ المفصّل:للزمخشري(ت٥٣٨هـ)ط٢،دار الجيل،بيروت ــ لبنان د.ت.

٥٢ــ المقتضب:لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هــ)تح،محمد عبد الخالق عضيمة،عالم الكتب،بيروت،د.ت.
٥٣ــ من أسرار اللغة:للدكتور ابراهيم أنيس،ط٥،مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة١٩٧٥م.
٥٤ــ المنهج الصوتي للبنية العربية:للدكتور عبد الصبور شاهين،مؤسسة الرسالة،بيروت ١٩٨٠م.
٥٥ــ الميزان في تفسير القرآن:للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سرّه،مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية،إيران،قم المقدسة،د.ت.